مفاتيح الفكر العقلي
بالاستدلال بالمنظور الإسلامي

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية - دار الكتب المصرية
الأشوح، زينب صالح
مفاتيح الفكر العقلي بالاستدلال بالمنظور الإسلامي/
تأليف: أ.د. زينب صالح الأشوح
ط1 ـ القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر
125 ص: 24x17 سم.
الترقيم الدولي: 978-977-722-000-2
1- التوافق الفكري
أ- العنوان
ديوي: 153،23 رقم الإيداع: 2013/1539

تحذير:
جميع الحقوق محفوظة للمجموعة العربية للتدريب والنشر ولا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأية طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقدما.

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
2013

الناشر
المجموعة العربية للتدريب والنشر
8 أ شارع أحمد فخري - مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفاكس: 22759945 - 22739110 (00202)
الموقع الإلكتروني: www.arabgroup.net.eg
E-mail: info@arabgroup.net.eg
elarabgroup@yahoo.com

مفاتيح الفكر العقلي
بالاستدلال بالمنظور الإسلامي

تأليف

أ.د. زينب صالح الأشوح

أستاذ الاقتصاد، رئيس قسم الاقتصاد سابقا
كلية التجارة - جامعة الأزهر
وخبير الاقتصاد ودراسات الجدوى
بالهيئة العامة للتخطيط العمراني
وزارة الإسكان والمرافق والتنمية العمرانية

الناشر

المجموعة العربية للتدريب والنشر

2013

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة يوسف، الآية 76)

أشكر ربى الكريم
الذي بدونه ما استطعت كتابة أي حرف من هذا الكتاب أو غيره،
والذي أرسل لي بعض جنوده لمساندتي ولدعمي.

المؤلفة

إهـداء

بدايةً أهدى كتابي هذا مع كل عرفاني وتقديري لأخي الحبيب المهندس/ **صبري صالح الأشوح**، والكاتب الإسلامي بمذاق العمل الهندسي الذي ولد عبقرياً وعلمني منذ الطفولة الغضة كيف أقرأ كتباً علمية معقدة ودسمة. وها هي كتاباته تمثل اللبنات الأولية والأساسية لهيكل الكتاب الموجود الآن بين أيديكم ... قرائي الأعزاء.

والواقع أن هناك قصةً طريفةً تقبع بين طيات ذلك الكتاب، أولها بسمة آملة متوهجة، كانت قد تولدت حين طلب من المؤلفة كتابة موضوع حول «منهجية البحث في الاقتصاد الإسلامي» ليتم ضمه إلى عمل فريق جماعي مشترك يستخدم كدليل إرشادي في دورات تدريبية متعاقبة في ذلك المجال، وتحول الأمر إلى دموع إحباط حائرة نتيجة لسلوكيات غير مسئولة، فتم التوقف الفوري عن استكمال العمل وظلت المؤلفة تردد العبارة الشهيرة الأكثر ملاءمة لمثل تلك المواقف المحبطة «مفيش فايدة» !!

وبعد ثلاثة أعوام، طلب أحد مراكز التدريب والنشر المتخصصة الراقية (وهو المركز الناشر لكتابي الحالي هذا) تأليف كتاب حول منهجية الفكر ليستخدم في مجالات التنمية البشرية التطبيقية، لكن لظروف خاصة آنذاك لم يدخل الكتاب حيز التنفيذ.

وبعد عام آخر، صادفت المؤلفة نماذج آمنوا بقدراتها، وتحمسوا لها، وقاموا بمحاولات إيجابية لترجمة ذلك بشكل أو بآخر فأعادوا الحماسة الحقيقة إلى قلمها، وتم استكمال الكتاب بشكله الحالي ... ومن تلك النماذج البشرية الفاعلة أبنائي: **محمد عنتر وعمرو المصري**، الذين أهديهم كل حرف من حروف ذلك الكتاب.

المؤلفة

المحتويات

إهـــداء 5

المقدمة 9

الفصل الأول: بعض أنماط الفكر البشرى السائدة وصلاحيتها فى مجال الفكر إسلامى التأصيل 13

مقدمة 15

1-1 بعض الأنماط الفكرية السائدة وارتباطها بتعددية المناهج التحليلية 16

2-1 بعض النماذج التطبيقية للأنماط الفكرية لبعض أئمة الفقهاء القدامى 20

الفصل الثانى: بعض الإرشادات الهامة لتحسين القدرات البحثية والمعرفية 25

مقدمة 27

2-1 ضوابط وشروط هامة لزيادة كفاءة وتفعيل العمليات المعرفية البحثية 28

2-2 بعض المصادر والوسائل والأدوات المستخدمة في إكتساب خبرات متميزة 33

أولاً: المصادر والوسائل المعرفية غير التقليدية 33

(أ) الإلهام الإلهي حتى لغير المؤمنين وللكائنات غير البشرية 33

(ب) المخلوقات والكائنات غير البشرية 35

(ج) خلق الإنسان، والظواهر الطبيعية 52

ثانياً: المصادر والوسائل المعرفية التقليدية 61

(أ) بعض المصادر التقليدية الهامة للأفكار وللبيانات وللمعلومات 61

(ب) بعض المناهج والوسائل والأدوات المستخدمة في مجال الاستجلاب والاستغلال المعرفي الجيد 64

الفصل الثالث: مفاتيح .. معايير .. على طريق المنهج الفكرى الصحيح **67**
مقدمة 70
1-3 مفاتيح الفكر والعلم والسلوك الرشيد 71
(1) ماذا يقصد بالمفاتيح؟ 71
(2) بعض المفاتيح الروحانية في دنيا الفكر والعلم والسلوك الرشيد 72
(3) بعض المفاتيح المنطقية والإضافية لترشيد عمليات الفكر والبحث والتعليم 74
3-2 مؤشرات، معايير، ودلالات تقييمية وبرهانية 83
(1) المؤشرات Indicators 84
(2) المعايير Standards 88
(3) الأدلة والبراهين Proofs & Evidences 97

الفصل الرابع: تنمية الصفات المثالية للشخصية المعرفية المتميزة بين أقرانها **103**
مقدمة 105
1-4 لآلىء إرشادية لتميز حقيقى في الشخصية 106
(1) ليكن المرء «ربانياً» 106
(2) التطبيق الملائم لما تم تعلمه 107
(3) القدوة الصالحة 108
(4) التحدي الإيجابي بتحويل كل سلبي إلى دافع قوى إيجابي 112
(5) التنظيم الجيد للوقت وربطه بمواعيد العبادات الثابتة 114
2-4 كيف تتعامل مع أى حالة إحباط أو اهتزاز للثقة 117
الخاتمة 121
المراجع 123

مُقَدِّمَة

يقول خالق البشر في قرآنه الكريم ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [البقرة: 219-220].

ومن تلك الكلمات المقدسة الإرشادية ندرك أن التفكير في أمور الدنيا والآخرة ومحاولة التعرف والتعلم للمزيد، والتتبع التحليلي الدقيق والمتعمق للمعطيات تمثل كلها مفاتيح الإنسان الرشيد التي يمكن استخدامها في حل كل المسائل المعيشية الدارجة بطريقة صحيحة وعقلانية. ومثل تلك الوسائل **التفكيرية والبحثية والتحليلية** تعتبر بمثابة أدوات أو وسائل حافظة لما أنعم الله به على الإنسان من حواس وملكات وقدرات يتميز بها على سائر المخلوقات وذلك حتى يتمكن من أداء المهمة الصعبة الموكلة إليه على أرض الدنيا وهى إعمارها ورعاية كل من يعيش فيها من مخلوقات أخرى.

فإذا ما أهمل إنسان في الاستخدام الجاد والفاعل لتلك الأدوات التفكيرية، فسوف يعرض نفسه لمخاطر فقدان التبصر برغم تمتعه بنعمة النظر لأن النظر يتيح فرصة رؤية الظاهر كما (يتراءى) للناظر، بينما **التبصر** يتيح للإنسان فرصة **الإدراك الصحيح** لحقيقة ما يبصر به بعيونه البشرية القاصرة وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: 50].

بل إن الذي لا يتفكر، ولا يتباحث الأمور، ولا يستخدم عقله في تحليل تلك الأمور أو الظواهر وتفنيدها بشكل حيادي رشيد، يعرض نفسه لافتقاد أهم ما يتمتع به الإنسان من حواس معيشية طبيعية وهى حاسة **الإنصات** الصحيح والكافي

لما يسمع بأذنيه، **والتعبير اللفظي** الصحيح لما يجب أن يعرضه بلسانه المفوَّه، والإدراك الصحيح لحقيقة ما يشاهده من ظواهر ببصره .. وصدق الله العظيم الذي علمنا تلك الحقيقة بقوله الكريم حول الكفار كأسوأ نموذج لمن يتمتعون بحواس وبملكات السمع والبصر والنطق، ومع ذلك يضيعون المنافع الفعالة لتلك الحواس والملكات نتيجة لسوء استخدامهم لها وتعطيل وظائفها التي خلقت من أجلها. وفى ذلك يقول الله العالم بما خلق ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ ﴾ [البقرة: 171].

ومما سبق، تتضح أهمية وعلة إخراج ذلك الكتاب المبسط الذي نبع من منطقة الإقرار بأهمية التفكير والتدبر والبحث والتحليل والتعليم كوسائل ضرورية وحتمية وكلبنات أساسية لتكوين إنسان رشيد في سلوكياته وفى توجهاته .. وفى كيفية تعامله الصحيح مع الحياة ومع سائر المخلوقات وفى أداء المهمة الأساسية التي استخلف فيها على أرضنا الدنيا.

ومن أجل التعرف على ماهية التفكير وأصنافه الرئيسية وكيفية الاسترشاد بالنماذج المثلى للمفكرين وكيفية الاهتداء بأفضل السبل إلى تفعيله لدى كل باحث عن المعرفة التحليلية المتميزة، يمكن للقارئ أن يمر عبر فصول أربعة، حيث يبدأ في أولها باستعراض موجز لبعض الأنماط الفكرية المختلفة التي يمكن أن يتسم بها كثير من الباحثين والمفكرين والعلماء، مع ترجيحها بالمدلولات الإسلامية النصية وتوضيح بعض التجارب الفكرية النموذجية المتمثلة في قدامى الأئمة المسلمين وهم الأئمة الخمسة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل، وابن حزم. وفى فصل تال يتم الانتقال إلى توضيح بعض الإرشادات المرتبطة بمنهجية البحث المعرفي وبعض المصادر المعرفية التقليدية وغير التقليدية التي تساعد على السمو والرقى الفكري والسلوكي والمعرفي لمن يلتزم بإتباعها خاصة إذا تمكن من التدرب على كيفية الاستغلال الأمثل للمصادر المعرفية غير التقليدية مثل الظواهر الطبيعية المحيطة

بالبشر والمخلوقات الأخرى. وينتقل الكتاب إلى فصل ثالث إرشادي حول أهم الكلمات والعبارات والوسائل والمفاتيح المعرفية التي تساعد على تيسير عمليات اقتحام المجالات المعرفية الغامضة وفتح مغاليقها، وذلك بالإضافة إلى عرض بعض المعايير الهامة التي يمكن استخدامها لتصحيح عمليات التقييم والتحليل وتوجيهها إلى المسارات الصحيحة ذات الصلة.

وإذا كان العرض السابق يرتكز بالدرجة الأولى على جانب الارتقاء بالمعرفة وبمتعلقاتها، فلابد أن تكتمل الصورة النموذجية المنشودة بعرض كيفية الارتقاء أيضاً بالشخص العارف ذاته وذلك ما يتم من خلال الفصل الرابع والأخير الذي يتضمن بعض القصص والوقائع الحقيقية الطريفة كدلالات داعمة لما يعرض من توجيهات ونصائح.

فهيا نبدأ معاً رحلتنا المنهجية المعرفية، والله الموفق من قبلُ ومن بعدُ .....

المؤلفـة

الفصل الأول

بعض أنماط الفكر البشرى السائدة وصلاحيتها في مجال الفكر إسلامي التأصيل

الفصل الأول

بعض أنماط الفكر البشرى السائدة
وصلاحيتها في مجال الفكر إسلامي التأصيل

مقدمة:

كثيراً ما يقال أن الإنسان يتميز على الحيوان بالعقل، فالعقل يفترض أنه الموجَّه الرئيسي للسلوك البشرى، بينما الغريزة هي الموجَّه المقابل للسلوك الحيواني. ومن أجل ذلك التميز، يعتبر الإنسان في مرتبة خلقية أعلى من الحيوان.

لكن آيات الله الكريمة ترشدنا إلى أن العقل لا يكفى لرقى المرتبة الخلقية ولا الذهنية للإنسان إذا تم تعطيل استغلال تلك المنحة الربانية الفريدة أو إذا ما أسيء استغلالها بدليل وقوع كثير ممن (لهم عقول) في مستنقعات الضلال والخطايا وإهدار الكثير من النعم الأخرى ذات الصلة وهى نعم الحواس وملكات الإدراك. وفى ذلك نسترشد بآيات الله الكريمة ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: 62]؛ ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [المائدة: 58]؛ ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة: 171].

والواقع أن **التعقل** الرشيد لابد أن يصحبه **تفكر**، بمعنى تنشيط العقل وتطويره وترشيده بعمليات الفكر التحليلي المتعمق للأمور وللظواهر، ويعتقد أنه بدون تفكر لن يكون هناك صحيح التعقل، وذلك بدليل التشابه الكبير في الآيات القرآنية الكريمة التي تناولت (التفكر)، وقد يعتبر التفكر هو الشق الحركي النشط والمؤثر المباشر في سلوك الإنسان وتوجهاته ويمكن الاسترشاد على ذلك الاعتقاد بقوله عز وجل في كتابه الكريم ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ [البقرة: 266]؛ كما يقول تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: 50].

لكن، هل يا ترى تتعادل أو تتشابه كل عمليات التفكر البشرية بشكل معياري وتقييمي موحد؟ أم أن هناك أنواع وأنماط مختلفة من الفكر يمكن أن تكون جميعها – برغم تباينها – ذات أهمية نسبية متقاربة من حيث التنمية البشرية وبخاصة في مجال العقل والإدراك والتدبر والتقييم؟!

لندع لسطور ذلك الفصل مهمة التوجيه والمساعدة في العثور على إجابات مقنعة لما ورد من تساؤلات.

1-1 بعض الأنماط الفكرية السائدة، وارتباطها بتعددية المناهج التحليلية:

يقوم الفكر البشرى خاصة العلمي المتخصص منه على دعائم مختلفة تتمثل في مناهج تحليلية يتبعها المفكرون والباحثون أحدها، أو بعضها، أو كلها وذلك من أجل التعرف على ظاهرة ما، أو إدراك نوع ما من العلاقات أو التقييم الموضوعي لأمر ما. ومن الأمثلة على تلك المناهج: المنهج التاريخي، المنهج الاستقرائي، المنهج الإحصائي ... الخ. وغالباً ما يطلق على تلك المناهج المتبعة مسمى (الفلسفة العلمية). وفى مجال متخصص مثل الاقتصاد، نجد – على سبيل المثال – أن الدكتور/ جلال

أمين (2008، ص12–13) يرى أن الفلسفة الاقتصادية لا تعنى فقط المناهج البحثية أو التحليلية التي يتبعها الاقتصاديون، لكنها تعنى بشكل أكثر تحديداً (طريقة الاقتصاديين في النظر إلى الأمور، ونوع نظرتهم إلى النشاط الاقتصادي).

وبوجه عام، فقد دلت الدراسات المتخصصة على أن الفكر البشرى يمكن أن يولد ويتنامى من خلال أنماط مختلفة تتداخل بخصائصها واستخداماتها عادة مع المناهج التحليلية العلمية المختلفة مثمرة بذلك تيارات واتجاهات وسلوكيات وشخصيات واضحة التميز. ومن أهم الأنماط الفكرية البشرية يمكن أن نذكر ما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

1- الفكر التحليلي:

ويستخدم فيه المنهج الرياضي والإحصائي كوسيلة رئيسية لدراسة المشكلة محل الاهتمام مع تشخيص الأسباب الكامنة وراءها، وهو ينظر إلى البيانات على أنها مجرد خامات لابد من معالجتها في المطبخ البحثي بأسلوب تحليلي ملائم لإبراز كل جزئية هامة واستخراج أفضل منافع البيانات المتاحة كنتائج وكمعلومات.

وهذا الأسلوب يتلاءم في غالبيته مع طبيعة البحث المعرفي والتحليل الفكري في مجال متخصص مثل «الاقتصاد الإسلامي» وذلك امتثالاً للأمر الإلهي بضرورة التأمل والتدبر في كل شيء ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: 53]. فإن ذلك الأسلوب التحليلي يساعد على إبراز الأحكام التشريعية الإسلامية الاقتصادية التي وردت في الأصول التشريعية من قرآن وسنة بالإضافة إلى أنه يساعد على تيسير الحصول على معلومات أكثر دقة ووضوحاً.

2- الفكر المثالي:

ويقوم عادة على أساس الروحانيات والقيم الأخلاقية، ومن يتبعه غالباً ما يستخدم أو يستعين بالنماذج المحلولة سابقاً في محاولة للإقتداء بها على حالها. وذلك

النمط يعتبر أكثر الأنماط الفكرية السائدة في مجال مثل الاقتصاد الإسلامي، حيث يعتمد بالدرجة الأولى والأساسية على الأصول التشريعية من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية ومناهج فكرية للخلفاء الراشدين وللأئمة القدامى وللفكر الإسلامي القديم.

3- الفكر الواقعي:

يقوم على أساس ما هو كائن بالفعل وعلى أساس الحقائق الملموسة والظواهر المرئية والمدركات بالحواس، ويرتكز على استخدام أسلوب التجربة والخطأ على ضوء تجارب واقعية سابقة. والعقل الواقعي (مثل العقل المثالي) هو عقل مستقبل للأمور وللظواهر على حالها وهو يعيش تجربة المعرفية في إطار الأحداث الجارية بدون الاستفادة من التجارب التاريخية الماضية.

وذلك النمط لا يتلاءم تماماً مع المنهج البحثي الإسلامي الذي قد يرفض صورة الحاضر كلياً أو جزئياً إذا ما حدث تعارض بينهما وبين الأحكام التشريعية الإسلامية التي نزلت منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان لكنها وضعت كمنهاج صالح للتطبيق حتى قيام الساعة.

4- الفكر التركيبي:

يقوم على مبدأ فلسفي (الشيء بضده يظهر)، ويقوم على استخدام المنهج المقارن بكثافة عالية. ويصاحب ذلك النمط الفكري عنصر (التناقض الفعلي أو المفتعل) بين الأشياء واستخدامه كوسيلة فاعلة تساعد على استيعاب كل المتغيرات المتداخلة والظواهر والعوامل المتداخلة داخل إطار تحليلي واحد بحيث يتم تقديم صورة موحدة شاملة للظاهرة محل الدراسة متضمنة كل العوامل ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة مما يساعد على التخطيط لفترات زمنية متباعدة بشكل منطقي وأكثر مصداقية وفعالية.

وقد يقبل ذلك النمط جزئياً في مجال مثل الاقتصاد الإسلامي الذي يشمل

على تحليل الظواهر ووضع وبناء خطط التنمية والأنظمة الاقتصادية لآجال مستقبلية. غير أن الاقتصاد الإسلامي يتطلب بطبيعته إدخال (قدر الله) في الحسبان وان الله الذي يقول للشيء «كن فيكون» يمكن أن يغير الأمور تماماً في لحظة وشيكة وعلى غير ما يمكن للعلماء أن يتوقعون برغم دقة حساباتهم وتحليلاتهم.

وعن غير قصد، فقد دعم الاقتصادي «روبرت كارسون» تلك الحقيقة حين انتقد الاقتصاد التقليدي الغربي المعاصر وذكر أنه بالغ في استخدام النظريات والقوانين بشرية الإعداد والصنع وفى عرض كم هائل من المعلومات الاقتصادية، ومع هذا، لم يستطع الأمريكيون التنبؤ بالسقوط المدوي للبورصة الأمريكية في يوم الاثنين (الأسود) أكتوبر 1986. برغم كل ما ابتدعوه من قياسات ومعايير اقتصادية تنبؤية عالية المستوى[1].

5- الفكر النفعي (العملي):

ويقوم على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) مثلما فعل «ميكيافيللي» الإيطالي من قبل. ومن يتسم بذلك النوع من الفكر عادة ما يتبع المنهج الانتقائي ويتوجه بفكره وبسلوكه لما يحقق له منافع أكثر.

وذلك ما يتلاءم تماماً مع المذهبية التي يقوم عليها الفكر الاقتصادي التقليدي الذي يقوم بالدرجة الأولى على تعظيم المنافع وتدنيه الخسائر أو التكاليف، ودائماً ما تتركز اهتمامه على النواحي المادية والملموسة فقط.

أما في مجال متخصص مثل الاقتصاد الإسلامي، فقد يؤخذ ذلك النمط والاتجاه الفكري بشيء من الحذر والتحفظ مراعاة للروحانيات وللأخلاقيات وللتوجيهات التشريعية التربوية التي توجه السلوك الاقتصادي للمسلم إلى قنوات أكثر تميزاً ورقياً

---

(1) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى روبرت كارسون، 1994، ص 14-18

مثل أن يحب المرء للغير ما يحبه لنفسه، ومثل إيثار الغير على النفس (وليس العكس كما يحدث في الاقتصاد التقليدي الذي يقوم على الأنانية الفردية وإيثار النفس على الغير)[1].

2-1 بعض النماذج التطبيقية للأنماط الفكرية لبعض أئمة الفقهاء القدامى:

باعتبار أن الفقهاء القدامى يمثلون مصدراً معرفياً بالغ الأهمية للباحثين المعاصرين في مجال الفكر الإسلامي، بل وفى غيره من المجالات البحثية والمعرفية المختلفة فقد يفيد عرض نماذج للأنماط الفكرية الهامة لبعض أولئك الأئمة القدوة في مجال الفكر العلمي الإسلامي النموذجي حيث يمكن للباحث المعاصر عند استعانته بكتابات أولئك الأئمة أن يقف على طبيعة الاتجاه الفكري الذي كان يتسم به مما يفيد بشكل كبير في تفسير الاختلاف الظاهري لعرض بعض الأحكام التشريعية التي قدمها كل منهم.

1- النمط الفكري للإمام أبى حنيفة:

كان يتمتع باستقلالية فكرية بالغة العمق، وكان ذا عقلٍ ناقد مقارن بطبعه، ابتكر ما يسمى (الفقه التقديري) وهو فقه نظري يتم من خلاله تصور لظواهر لم تقع في الواقع ثم يتم تتبع وبحث ودراسة الأحكام الفقهية المتوقعة لها، ومن ثم فقد كان أبو حنيفة بارعاً في وضع الفروض القابلة للتحقيق من صحتها. وكان يعطى الأولوية للاستحسان قبل القياس، حيث يهتم بالمضمون المتعلق بالاستحسان أكثر من اهتمامه بالقياس على شكل أو أمر ظاهري[2].

---

(1) ارجع إلى صبري الأشوح، 1417هـ/ 1997م، ص 13-23

(2) صبري الأشوح، مرجع سبق ذكره، ص 182-184، 198.

2- النمط الفكري للإمام مالك:

كان يعتبر نموذجاً قدوة لرجل الأعمال ورجل الدولة الناجح لأنه كان عملي التفكير، يتمتع بشخصية مهيمنة على من حوله بشكل طبيعي وتلقائي نتيجة لحنكته الفكرية العلمية للأمور، كان يكره الجدل والمناظرات لأنها تتسبب في التباغض والمشاحنات، ومن ثم كان يتجنب علوم (الكلام).

كان أيضاً يهاجم (الفقه التقديري الحنفي) ويعتبره مجرد كلام (نظري) لا يتلاءم مع الواقع العملي، ومن ثم كان لا يتبع مبدأ وضع فروض مسبقة للتحقق من صحتها ولكن يبدى آراءه وفتاواه في المسائل والأمور الفعلية[1].

3- النمط الفكري للإمام الشافعي:

وكان نموذجاً لرجل القانون الأكاديمي الموسوعي، يأخذ بالظواهر والأمور المادية الملموسة ويهتم بها أكثر من المضمون، لا يتمتع أبداً بالتفكير التركيبي، انصب جل اهتمامه على تأصيل الأصول وضبط القواعد الفقهية وكان له الفضل في تدوين علم (أصول الفقه) ولم يكن يأخذ بآراء الفقهاء الآخرين والقدامى كما هى، بل كان عادة ما يصدر نتائج فقهية نهائية مخالفة لما كتب من قبل وقد ضايق ذلك أتباع الأئمة السابقين، وفى ذلك قال المقدسي «رأيت أصحاب مالك يبغضون الشافعي ويقولون أخذ العمل من مالك ثم خالفه»[2].

4- النمط الفكري للإمام ابن حنبل:

هو رائد السلفية، ودائماً ما يطبق مبدأ (الماضي هو الحل) حيث كان يرفض

---

(1) المرجع السابق، ص 184-189

(2) المرجع السابق، ص 187-189، 198

الواقع الذي كان يعيش في ظله، ركز كل جهوده في جمع وتدوين الأحاديث النبوية وأفكار السلف وكان يميل لفقه الشافعي ولا يميل إلى فقه أبى حنيفة. وكان مثل الإمام مالك يكره النقاش والجدل وعلم الكلام. ويمكن اعتبار الإمام ابن حنبل بمثابة (الإنسان الاقتصادي الرشيد) حيث أنه كان يجمع بين المثالية (بالإتباع الكامل للسنة النبوية الشريفة ومن ذلك أنه كان يحتجم ويمنح الحجام ديناراً كما كان الرسول ﷺ يفعل)، والنفعية (ومن دلائل ذلك أنه أجاز طاعة الحاكم سواء كان براً أو فاجراً وذلك ردءاً للفتن وللمشاحنات) [1].

5- النمط الفكري للإمام ابن حزم:

كان ذا تفكير تركيبي مقارن، مغرم بالجدل وبالمناظرات، مستقل كثيراً بفكره، كان يستخدم البديهيات والمسلمات العقلية والظواهر والحقائق الشاملة كأسس لوضع فروض مرتبة الأولويات بحيث يهتم بالمقارنة بين الفروض التي وضعها أكثر من اهتمامه بإتباع أسلوب (المناطقة) التقليدية (بما أن .... إذن). وكان لا يهتم بالفكر التحليلي بقدر اهتمامه بالفكر التركيبي المقارن الذي يمكنه من عرضه معلومات ونتائج أكثر شمولية واتساعاً مما يمكن عرضه ودراسته في إطار الفكر التحليلي محدد النطاق والمتغيرات ومن ثم لم يكن فكره (مثالياً)، كما هو الحال في فكرى الشافعي والحنبلي.

ووفقاً للحكمة الشائعة (اختلاف العلماء رحمة) فإن الاختلافات الموضحة في الأنماط الفكرية للأئمة القدامى قد أثمرت عن ثروة فقهية تشريعية يمكن أن تمثل مصدراً تشريعياً واسعاً وصالحاً للأخذ به على مدى الأزمنة التالية المختلفة وفى ظل التغيرات المستمرة الحادثة عبر تلك الأزمنة، كما يتيح مرونة التطبيق لتلك

---

(1) المرجع السابق، ص 189– 194، 198.

الأحكام ذات المصادر الفكرية متنوعة الأنماط بشكل صحي وفعال، وهو ما يمكن أن يتلاءم أيضاً مع التعددية اللاهثة في النظريات والقوانين والمصطلحات والمفاهيم والأنظمة الاقتصادية المعاصرة التي تتطلب معالجتها بأنماط فكرية متنوعة عند تناولها في مجال البحث الإسلامي بحيث تصبح تلك الأنماط الفكرية المتنوعة قادرة على استيعاب تلك المتغيرات وتناولها بأساليب علمية مناسبة لكل منها.

الفصل الثاني

بعض الإرشادات الهامة
لتحسين
القدرات البحتية والمعرفية

الفصل الثاني

بعض الإرشادات الهامة لتحسين القدرات البحثية والمعرفية

مقدمة:

إن عمليات التفكر والتدبر والتحليل والتقييم الموضوعي عادة ما تصاحب أي إنسان رشيد منذ نعومة أظفاره حتى انتهاء عمره على أرض الدنيا وذلك يحدث عادة ويتنامى ويتطور في ظل مدرسة الحياة والتعامل مع الأحداث، ومع الناس، ومع كافة الأمور القدرية المكتوبة على كل مخلوق في الأرض. غير أن تلك العمليات الفكرية وغيرها يمكن أن تتحقق في أعلى مستوياتها المعرفية الرشيدة إن تم تطويرها ودعمها وتوجيهها بالوسائل العلمية المتخصصة، وتكون حقيقة في أحسن حالاتها وأرقى طباعها عندما يتم تنقيحها وضبطها بالتوجيهات وبالتعاليم الإسلامية إلهية المصدر.

وعادة، فإن هناك اعتقاداً سائداً بأن الاكتفاء بالمصادر الدينية أو التشريعية المباشرة هو شرط ضروري وكاف للتوصل إلى أفضل الأعمال الفكرية البحثية وأكثرها إتقاناً خاصة بعد تطبيق المناهج والنظريات والقوانين المتخصصة ذات

الصلة والارتباط. والحقيقة، أن الحال كذلك، لكن المهم هو أن يفطن الباحث أو المفكر إلى التوجيهات والتنويهات الموجودة في تلك المصادر النموذجية التي يمكن أن تساعد في إحداث فريد من الارتقاء والتميز للعمل الفكري برغم عدم الإعلان صراحة أو بشكل مباشر عن جدوى دورها في هذا الصدد.

من هذين المنطلقين تم إرساء دعائم الفصل الحالي بجزأيه الأساسيين كما سيتبين كلٌ في حينه.

1-2 ضوابط وشروط هامة لزيادة كفاءة وتفعيل العمليات المعرفية والبحثية:

كلما احتكم سلوك المرء وتوجيهاته وأفكاره إلى تعليمات نموذجية مرشدة، كلما زادت احتمالات قبوله واحترامه من قبل مجتمع العقلاء والحكماء؛ ما بال إن كانت تلك التعليمات مستنبطة من باقة التوجيهات الإلهية التي تناثرت بأنوارها المتلألئة داخل طيات المصادر التشريعية والتربوية الدينية الثابتة في القرآن والسنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين ؟!!

تعالوا، نتعرف معاً أيها القراء الأعزاء، على بعض النصائح الإرشادية ذات التأصيل الإسلامي الحنيف والتي تفيد في الارتقاء بأي فكر أو علم معرفي بشرى النسيج والصياغة والتطبيق.

1- أن يكون هناك يقينٌ بان أصل العلم الصحيح كله من علم الله سبحانه الذي علم آدم الأسماء والمصطلحات وغيرها من الأسس، ومن ثم فعلى الباحث الاستعانة بما حباه الله من علم فطرى يتمثل في مواهب وقدرات تحليلية وفكرية متميزة ومعارف كامنة تتطلب إظهارها والكشف عنها باستخدام الأدوات البحثية الأخرى وبالاستعانة بالمصادر المعرفية الأخرى التي سيتم عرضها في الجزء الثاني. ولابد من التذكر الدائم للآية ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: 78] كدرس هام يحمى الباحث والعالم المتميز من الوقوع

في بوتقة الغرور المدمر التي وقع فيها من قبل شخص ادعى أنه صاحب العمل الذي تميز به ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص: 81].

2- بناء على المسلمة السابقة، فإنه على عكس الاتجاه السائد في العلم التقليدي من ضرورة فصل العلم عن الدين واعتبار الأصول الدينية مجرد مصادر تعبدية بحته، فلابد للدارس في أي علم أو بحث إسلامي من ربط الدين بالعلم، ولابد أن تكون عملية بحثه بكاملها قائمة على مصادر تشريعية دينية بالدرجة الأساسية، ولابد من مطابقة كل ما يعرض من نتائج ومعلومات مع الأحكام التشريعية والأوامر الإلهية في ذات مجال الدراسة والبحث.

3- وذلك لا يمنع من أهمية الاستعانة بدراسات العلوم الوضعية المتخصصة والمرتبطة بموضوع البحث والدراسة حتى إن كان واضعوها غير مسلمين، حيث أن الله قد أعطى علمه للجميع كرزق شامل لكل البشر ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: 4-5]. العبرة أن يكون الجزء المستعان به مطابقاً بالفعل لما ورد من أحكام تشريعية أو أن تتم مطابقته تشريعياً. ومن بين الأمثلة على ذلك المصطلحات العلمية التخصصية المستحدثة: التأجير التمويلي والمشتقات المالية والاستنساخ وزرع الأعضاء والزراعات المستهجنة ... الخ، وبرغم حداثة ظهورها في مجال الفكر التقليدي البشرى، فيجب عدم رفضها على إطلاقها لمجرد أنها نبتت على أرض اصطلاحية أو بحثية غير إسلامية، لكن المفروض أن تنقح في الميزان الإسلامي التشريعي الصحيح وتتم بلورتها إلى الشكل المقبول شرعاً.

4- أن يكون البحث العلمي حيادياً وغير متحيز لهوى أو لمأرب شخصي لأن ذلك يؤثر على صحة ما يعرض من نتائج وتوصيات ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: 119].

5- استخدام اللغة العربية كأساس للبحث والعرض مع الاستزادة من التعلم باللغات الأخرى لإثراء المعارف والخبرات فقد توصل عالم مصري كان يدرس في بريطانيا مؤخراً إلى أن العالم يضم لغات كونية عديدة وبالغة التنوع تستخدمها جميع مخلوقات الله إلا أن أصل كل هذه اللغات هي اللغة العربية وذلك ما دفع جامعة الملك بن عبدالعزيز بالمملكة العربية السعودية إلى فتح قسم جديد لتدارس كل ما يتعلق بتلك اللغات الكونية التي يستخدمها البشر وغير البشر. أما عند الاستعانة بالنصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية، فلابد أن تعرض بلغتها العربية الأصلية تجنباً للوقوع في خطأ التقول على الله سبحانه وعلى الرسول ﷺ.

6- قَسَّم العلماء المعرفة الإنسانية إلى قسمين رئيسيين: ضرورية ومكتسبة، كما قسموا العلم الضروري إلى قسمين: بديهي فطرى، وحسي، واعتبر العلماء أن العلم الضروري يورث المعرفة اليقينية أما العلم المكتسب (الذي يطلق عليه أحياناً العلم النظري)، فقيل عنه أنه لا يفيد إلا الظن أي أنه يمكن أن تشوبه التشككات التي تتطلب التحقق من صحتها بصفة مستمرة[1].

ومما سبق فإن الباحث في المجالات العلمية إسلامية التأصيل أو التناول لابد من أن يبدأ أولاً بالتعرف على كل المسلمات المعرفية اليقينية المرتبطة بمجال تخصصه واهتمامه البحثي وذلك باستنباطها من الأصول التشريعية الصحيحة واليقينية بدءاً بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة؛ أما ما حباه الله به من علم بديهي (فطرى) «هو الذي يتمثل في معرفة يكتسبها الإنسان تلقائياً بدون بذل جهد إضافي أو مقصود من قبله»، فعلى الباحث أن يدعم ذلك العلم الفطري اليقيني بالأدلة الشرعية المناسبة حتى يمكنه إقناع المتلقي لما يقدمه من معرفة بشكل منطقي عقلاني. ومن

(1) صبرى الأشوح، 1420هـ / 2000م، ص 15.

الأمثلة على المعلومات الفطرية: «استحالة المحالات» بمعنى أن شيئاً واحداً على سبيل المثال يستحيل أن يكون قديماً ومحدثاً في ذات الوقت أي يستحيل إحالة القديم إلى الوقت الراهن واعتباره حديثاً والعكس بالعكس صحيح[1]. فعلى الرغم من يقينية تلك المعلومة، فلابد من التحقق من صحتها بالأدوات التحليلية الملائمة بالتجربة والخطأ أو داخل المعمل البحثي أو من خلال دراسات ميدانية ... الخ حتى يمكن الإقناع المنطقي لمن لم يتبصروا إلى تلك البديهية النظرية.

وقياساً على ذلك، فإن كنا نعتبر الفكر أو العلم إسلامي التوجه أو التأصيل مجالاً ضرورياً يجب إتباعه على أساس تكونه من شقين ثابت (إلهي المصدر) ومتغير (اجتهادي من قبل البشر)، فيجب على الباحث المتخصص في ذلك المجال والموقن بأهميته الحتمية، أن يقدم من الأدلة والبراهين المنطقية ما يقنع المخالفين بما يراه وذلك يكون **بشكل مباشر** من خلال تقديم أدلة ترجيحية للعلم المذكور (مثل أنه يراعى مصالح كل من الفرد والمجتمع معاً وليس متطرف الأيديولوجية والفكر، وأنه قابل للتطبيق في كل زمان ومكان بل إن أي زمان أو مكان لا ينصلح حاله إلا بتطبيق ذلك العلم لأنه يقوم على العلم الإلهي الذي لا يماثله شيء) وقد يحدث ذلك **بشكل غير مباشر**، وذلك من خلال تقديم بحوث علمية تطبيقية عملية فاعلة تتلاءم ولغة العصر وظروفه المستحدثة وما يقابله من تحديات فعلية (وذلك كما حدث مؤخراً في فترة اندلاع الأزمات الاقتصادية العالمية منذ عام 2006م، حيث بدأت الأصوات الغربية تنادى بضرورة الاستعانة بدراسات الاقتصاد الإسلامي وبالقرآن آملة في العثور على حلول إيجابية تنقذ الدول الكبرى من الهلاك الاقتصادي المستشري بين جنباتها ومثلما حدث مع علماء اعتنقوا الإسلام نتيجة لاكتشاف تطابق نتائجهم العلمية مع آيات قرآنية كالحال في الآيات المرتبطة بتطور مراحل خلق الإنسان منذ كان نطفة من «منيٍ يمنى»).

---

(1) المرجع السابق، ص 16، 170.

7- وإذا كان القرآن يمثل مصدراً جوهرياً للمسلمات الفكرية والعلمية والمعرفية بشكلها العام، فيستحب للباحث في مجال العلوم إسلامية التأصيل ليس فقط أن يحفظ آيات القرآن لتكوين حصيلة معرفية نظرية أساسية، لكن أيضاً أن يتدبر معانيه وأن يتدارس كتب التفاسير المختلفة حوله حيث إن ذلك يساعد على تنمية العلم الفطري الصحيح لديه، بل إن الباحث الماهر يجب أن يحب القرآن بكل وجدانه حتى يظل في فكره وعقله دائماً، ويساعد على ذلك قيامه بتدارس القراءات القرآنية المختلفة له والتدبر في الإعجاز الكامن في تلك القراءات[1].

8- وكما أوضحنا سابقاً، فإن أئمة الفقهاء القدامى الذين يمثلون مصدراً معرفياً بشرياً هاماً للبحث وللاستدلال في القضايا والأمور مختلفة التخصصات، ولدعم عمليات القياس الاجتهادية المستحدثة، لوحظ أنهم يتمتعون بأنماط فكرية مختلفة تتيح للباحث مرونة كافية للتنقل وللتدبر البحثي بين الأحكام التشريعية المرتبطة بقضيته البحثية. ومن ثم، فعلى الباحث ضرورة الاستعانة بآراء هؤلاء الفقهاء جميعهم أو بعدد كبير منهم مع تبرير اختيار من سيقوم بالاستعانة بهم، ثم الانتهاء بنتائج يسردها الباحث بحيث يحاول تجميع النتائج المشتقة من تلك الآراء والتوفيق فيما بينها لأنها أحياناً ما تبدو مختلفة أو متناقضة بشكل يتيح فرصة الهجوم الانتقادي من قبل أعداء الإسلام أو ضعاف العلم والإدراك.

ومن ثم، فإن تقبل الاستعانة بالأفكار المتخصصة التي تتضمنها كتابات الفقهاء القدامى، يتطلب البدء أولاً بتدارس شخصياتهم واتجاهاتهم الفكرية وسيرتهم الذاتية فذلك يساعد كثيراً على تفهم ما يقدمه كل من آراء وفتاوى[2].

---

(1) انظر على سبيل المثال: صبري الأشوح، 1419هـ / 1998م.

(2) انظر على سبيل المثال صبري الأشوح: «حول التفكير عند أئمة الفكر الإسلامي»، 1417هـ/ 1997م، مرجع سابق ذكره، و «مذهب جمهور الفقهاء»، 1426هـ/ 2005م

2-2 بعض المصادر والوسائل والأدوات المستخدمة في اكتساب خبرات متميزة

عندما يسأل باحث متخصص أو حتى عامل محنك في تخصص علمي دقيق، ما هي أهم المصادر التي تم الاعتماد عليها في الحصول على البيانات والمعلومات المطلوبة وما هي أهم الوسائل التي تمت الاستعانة بها من أجل تحقيق ذلك، تكون الإجابة المعتادة أو المتوقعة مرتبطة في الغالب الأعم بالمصادر التقليدية الشائع الحديث بشأنها مثل المصادر الإحصائية أو المختبرات المعملية والدراسات الميدانية لمصادر البيانات والمعارف، ومثل المناهج التحليلية الوصفية والتاريخية والقياسية، وتكوين المعادلات والدوال بأشكالها المختلفة .....

ونادراً ما هم، من يفطنون إلى وجود مصادر ووسائل معرفية غير تقليدية وغير منظورة وتخرج عن نطاق العقل البشرى التقليدي .. تلك التي ورد بشأن بعضها بعد الإشارات القرآنية أو تلك التي وردت بالأحاديث النبوية، والتي دلت تجارب الآخرين عن هويتها ومكامنها. وقد تكون بعضها مما يستهين بشأنها الإنسان المغرور ببشريته برغم ما يكتنفها من العديد والعديد من علامات الضعف والقصور.

وبناءً عليه، فإن مصادر البحث المعرفي ووسائله خاصة في المجالات المرتبطة بالنواحي الدينية أو القائمة على الركائز الدينية يمكن أن تصنف إلى قسمين رئيسيين المصادر غير التقليدية (وهى الأقرب إلى توليد وإظهار العلم الفطري اليقيني)؛ ومصادر تقليدية (وهى المصادر المعرفية المعتادة في المجالات المعرفية التقليدية).

أولاً : المصادر والوسائل المعرفية غير التقليدية :

الإلهام، المخلوقات غير البشرية، الظواهر الطبيعية، وخلق الإنسان.

(أ) **الإلهام الإلهي حتى لغير المؤمنين وللكائنات غير البشرية:**

فالعلم يمكن أن يصل إلى من شاء الله من العباد بوحي أو بإلهام مباشر أو غير

مباشر، مع اختلاف أحوالهم وعقائدهم ومذاهبهم وذلك كأحد أنواع العطاء الإلهي اللا محدود بدليل قوله تعالى ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: 20].

كما أن الإلهام أو التوجيه الإلهي بالعلم حتى لغير المسلمين ولغير المؤمنين، يمكن أن يحدث كجزء من الرزق المعيشي المطلق الذي وعد الله الرزاق بأن يتيحه لكل دابة بدون تقييد أو تحديد لأصناف معينة منه بخلاف ما يعتقده العامة خطأ بأن الرزق يتمثل في ماديات العيش فقط من أموال ومأكولات وما شابهها، وذلك كما وعد به الرزاق الكريم في قوله ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: 6].

ومن الأسباب المنطقية التي يمكن أن تفسر (عمومية) العطاء العلمي الصحيح للمسلمين ولغيرهم أن ذلك يمكن أن يكون سبباً في هداية المتلقي أو أن يصبح ذلك حجة عليه وقت الحساب الأخروي إذا أصر على كفره وإنكاره لتعاليم الدين الإلهي وعصيانه لتوجيهاته، وجحوده لفضل الله عليه - ومما نستدل به - ولو بشكل غير مباشر - على ما نقول، ما قاله سليمان عليه السلام بعد علمه بقصة ملكة بلقيس ونجاحه في هدايتها للإسلام ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: 40].

كما يمكن استنباط سبب آخر للإمداد الإلهي لغير المسلم أو غير المؤمن بجزء من العلم اليقيني، وهو تسخير المتمتع بذلك العلم الصحيح لتقديم منافع عملية وحياتية لغيره ومنهم المسلمين والمؤمنين أنفسهم، وتحقيقاً لهدف التواصل البشرى القائم على التدافع والابتلاءات والمناخات التنافسية الدافعة لعمليات الإعمار الكوني، ودليلنا في ذلك قوله تعالى ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ ﴾ [الزخرف: 32].

كما يمكن أن يكون في ذلك تحفيزاً للمسلمين وللمؤمنين لدعم قوتهم المعرفية والارتفاع بمستواها حتى لا يكونوا في وضع أدنى من غيرهم وتابع لهم، وذلك استرشاداً بقول الحكيم ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة: 251]، وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: 40].

ولماذا يستبعد كثيرون فكرة أن يرزق الله سبحانه غير المسلم أو غير المؤمن جزءاً من علمه اليقيني مع أن الله سبحانه منح ما هو أكثر من ذلك من صلاحيات لإبليس الرجيم؟! وتلك قصة أخرى تتطلب تأمل كل فطن.

والواقع أن تأكيدنا على فكرة حصول غير المسلم على جزء من العلم اليقيني لا ترجع إلى مديحه، ولكنها تدلل على خطأ المقاطعة المطلقة لكل ما يرتبط بغير المسلمين حتى إن كان ذلك فكر أو علم يمكن الانتفاع به، لكن في تلك الحالة ينصح أن لا يؤخذ ما يستعان به من ذلك المصدر المعرفي غير الإسلامي على أنه مسلمات أو بديهيات، بل لابد أن يتم تقييمه وتنقيحه بالأحكام الشرعية وبالتوجيهات الإلهية الثابتة، ثم يقبل منه ما يتطابق مع علم الوحي، وينقح منه المخالف - إن أمكن ذلك - أو يرفض ما هو خلاف ذلك تماماً مثل قوله ماركس بأن (الدين أفيون الشعوب) واعتباره من العوامل المفسرة للتطور التاريخي والاقتصادي.

(ب) المخلوقات والكائنات غير البشرية:

فبتتبع آيات القرآن الكريم وبالتأمل في ما يحدث من اكتشافات علمية عبقرية، يمكن أن نقول بأن الله سبحانه وتعالى قد جعل من بعض مخلوقاته غير البشرية

وسائل لنقل علم الوحي اليقيني الذي يفيد الإنسان في تحقيق إعمار الكون وتطوير المناخ المعيشي والأنشطة البشرية القائمة من خلاله وصدق الله تعالى حين أرشدنا إلى عدم الاستهانة بالمخلوقات الأخرى وإلى ضرورة الاستفادة منها بقدر الإمكان وهو ما نستدل عليه من قوله تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام: 38]. ولدينا في ذلك المقام العديد من الأدلة القرآنية المسلم بها ومن ذلك نستدل بمثال تعريفي للتوازن المعيشي المطلوب تضمنته قصة نوح عليه السلام، ثم بأمثلة أكثر تحديداً وتخصصاً منها النحل، كنموذج تعليمي تطبيقي للنشاط الإنتاجي الفعال، وغراب قابيل كرائد تعليمي تطبيقي لإستراتيجية حماية البيئة من التلوث، وهدهد سليمان كباحث ميداني ومصدر لمعلومات يقينية، وطيور إبراهيم كوسيلة تعليمية تطبيقية تقوم على استخدام أسلوب (التجربة العملية) للوصول على معلومة يقينية أو للتحقق من صحة ما قد نسميه في عالمنا العلمي المعاصر بالفرضية، وكذلك كان حمار العزيز الشهير. ولنبدأ بعرض تلك النماذج التعليمية غير البشرية.

(1) النموذج التعليمي الإرشادي المستنبط من قصة نوح عليه السلام، التوازن المعيشي المطلوب يقوم على (اختلاف) الطبائع أو على المتضادات:

ورد في إحدى الدراسات المعاصرة حول التربية البيئية[1] أن محاولة أو عملية الإخلال بمنظومة هيكل المخلوقات التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يوجدها على الأرض الدنيا لابد أن يؤدى إلى الإخلال بالهيكل المعيشي على الأرض مما سيضر بالإنسان، حتى إن تم ذلك بهدف التخلص من مخلوقات (تبدو) ضارة له. وقد عرض في ذلك الصدد مثال صيني مزدوج، يتمثل أحد شقيه في شن عملية إبادة قومية شاملة ناجحة للذباب، ساهم فيها كل طوائف الشعب، لكن بعد تحقق ذلك

(1) أحمد عبدالوهاب، 1995، ص 571-572.

الهدف المحوري (التخلص من الذباب)، اكتشف الخبراء أن الذبابة خاصة المنزلية تعتبر من أهم المنظفات لقيامها بمهمة تنظيف البيئة بتحليل القمامة وروث المواشي ونفايات الإنسان والحيوانات النافقة. وفى تجربة مقابلة، قامت الصين بعملية إبادة جماعية للعصافير لأنها تتغذى على 10٪ من المحاصيل المزروعة في الحقول. وبرغم نجاح تحقيق الهدف الأصلي، فقد اكتشفت الصين أن 56٪ من الغذاء الذي كانت تتناوله العصافير (المضطهدة) كان يتمثل في الواقع في الحشرات الضارة بتلك المحاصيل وبالبيئة المحيطة بها.

وقد أشرنا في كتاب سابق لنا[1]، إلى أن الشق الثاني من التجربة يمكن أن يشير إلى أن العصافير تعتبر (عاملاً مهنياً) كان يقوم بعملية التنظيف البيئي للمحاصيل وبحراسة تلك المحاصيل من الغزو المدمر لها من قبل المخلوقات الضارة المعتدية، وكانت تحصل على أجر عادل لما تقوم به من نشاط اقتصادي يتمثل في 10٪ مما تدره الأرض الزراعية من تلك المحاصيل!

ولو أن الخبراء الصينيين (الذين قرروا تطبيق التجربتين البيئيتين الفاشلتين والذين تسببوا في تكبد تكاليف مادية واجتماعية لا مبرر لها)، رجعوا إلى قصة سفينة نوح وتدبروا في متضمناتها، لكان الوضع قد تغير نتيجة لتصحيح معلومة خاطئة بدأوا بها وأقاموا حملاتهم التجريبية بناءً عليها.

ففي قصة نوح عليه السلام، نجد أنه اصطحب في سفينة الإنقاذ التي أعدها للوقاية من الطوفان المرتقب، زوجين اثنين من جميع المخلوقات حتى من الوحوش المفترسة[2]. فإن كانت تلك الوحوش المفترسة مخلوقات ضارة وغير مطلوبة، ما أراد الله تعالى لها أن تستمر في دائرة البقاء المعيشي، ولتم التخلص منها مع الكفار

---

(1) زينب صالح الأشوح، 2003، ص 37

(2) زينب صالح الأشوح، 1425هـ/ 2004م، ص 162

في الطوفان المنذر، بل ما خلقها الله سبحانه وتعالى، وجعل لها مكاناً معيشياً على أرض الدنيا. ولكن السماح لها بالدخول جنباً إلى جنب داخل سفينة نوح مع المخلوقات الأليفة الأخرى يؤكد على **أن التوازن البيئي والمعيشي على أرض الدنيا يقوم في الأساس على المتناقضات أو المتضادات**، وهى فرضية نترك مهمة الإثبات والتدليل على صحتها للمتخصصين في العلوم الطبيعية والأحياء والجيولوجيا.

(2) النحل كنموذج تعليمي تطبيقي للنشاط الإنتاجي الفعال:

ويمكن استنباط نموذج تعليمي هام لعملية إنتاجية متكاملة من خلال ما ورد في الآية الكريمة حول السلوك الإنتاجي للنحل، وفقاً لما أوحى به إليه من رب العالمين. وفى ذلك يقول تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل: 68-69].

وبالامتثال للأمر الإلهي بدأنا في التفكير في تلك الآية الإعجاز الكريمة ونجم عن ذلك التفكر المنطقي المتعمق استنباط نموذج إرشادي لكيفية تطبيق وتفعيل أية عملية إنتاجية حيث يجب أن يراعى إتباع التوجيهات الآتية:

1- أية عملية إنتاجية يجب أن يسبق إقامتها البحث والتنقيب عن مصادر الخامات والموارد اللازم استخدامها لإتمام هذه العملية الإنتاجية مع تحديد مكان الإنجاز الإنتاجي المستهدف. وقد استلهمت تلك الخطوة من الجزء الأول من الآية الكريمة ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾..... ﴾ [النحل: 68-69].

2- واسترشاداً بنفس الجزء من الآية السابق الإشارة إليه تواً، يجب عدم الاكتفاء – في عمليات استكشاف الموارد الطبيعية – بمكان ذي طبيعة واحدة أو بأماكن

متعددة تجمعها طبيعة واحدة متماثلة، بل الأفضل التوجه إلى العديد من الأماكن متنوعة التواجد والخصائص لأن ذلك يتيح الفرصة الأفضل، ليس فقط لزيادة احتمالات النجاح في الحصول على الموارد الطبيعية المستهدفة، ولكن أيضاً للحصول على تلك الموارد لكن بخصائص ذاتية يمكن أن تختلف ضمناً فيما بينها مما يساعد على اكتساب موارد طبيعية متنوعة الخصائص ومتعددة المنافع والاستخدامات ولكن بطبيعة الحال، يجب أن تحدث عملية البحث هذه في نطاق المقبول منطقياً، فبالرجوع إلى الآية الكريمة فإن العسل يمكن أن ينتج في الجبال أو في مناطق مشجرة وفى كل حالة سنحصل على إنتاج مختلف الخصائص والمنافع بشكل نسبى، لكن لا نتوقع أن نجد عسل نحل في أعماق البحار لأن الطبيعة السائلة للعسل لا يعقل أن تتواجد بشكل منفصل ومتميز في ذلك المكان الأخير.

3- كما يستهلم من نفس الآية السابقة قاعدة إنتاجية إرشادية ثالثة وهى مراعاة الإقامة المستمرة للقائمين على العملية الاستكشافية أو الإنتاجية في ذات أماكن تجمع مصادر الموارد والخامات المنشودة مع تفضيل أن يتجاور ذلك وذاك (مكان إقامة العاملين وأماكن تواجد الخامات) مع أماكن تصنيع المنتج المستهدف – في كل أو على الأقل – في غالبية المراحل الأولى الأساسية للاستكشافية أو للإنتاج ذي الصلة وبكلمات أخرى، يفضل إقامة مستوطنات أو تجمعات استكشافية، صناعية إنتاجية، وسكانية متكاملة، ويفضل أن يكون مركز هذه المستوطنات في أماكن توافر الخامات.

وبالتفكر في الشق الثاني من الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل: 69] يمكن أن نستنبط القواعد الإنتاجية الإرشادية الاستكمالية التالية.

4- يفضل أن تتوافر في التجمع الإنتاجي المقترح كل مقومات المعيشة الملائمة لطبيعة المنتجين والعمال والتي تساعد على تعظيم أدائهم الإنتاجي من طعام وشراب وأدوية معالجة ووقائية ضد الأمراض .... الخ وذلك توفيراً لتكلفة الوقت والمجهود التي يمكن أن تهدر أو ترتفع نتيجة لابتعاد تلك المقومات (أو بعضها) عن مكان الإقامة ومكان الإنتاج والواقع أن التوافر المحلى لمقومات المعيشية ومحسنات الأداء والنشاط الاقتصادي، لابد أن يساعد على زيادة الإنتاج وزيادة القيمة المضافة نتيجة أيضاً لزيادة إمكانية تخصيص وقت أكبر في إنجاز العمل الإنتاجي المستهدف.

5- إتباع مبدأ التنوع في الموارد والخامات المستخدمة، وفى أنماط الوحدات المنتجة بشكلها النهائي والمرتبطة بذات المنتج الأصلي كمسمى، حيث يثمر ذلك عن تعظيم المنافع والاستخدامات الإيجابية لذلك المنتج متعدد الأنماط والأشكال – وبالتالي – متعدد الاستخدامات والمنافع.

ويقودنا ذلك إلى استنتاج علاقة دالية مفترضة توضح وجود ارتباط إيجابي بين تنوع الخامات والموارد المستخدمة في العملية الإنتاجية، وتنوع التوليفات الإنتاجية المطبقة، وتنوع الأساليب الفنية والإنتاجية أو التقنية المتبعة – كمتغيرات مستقلة من ناحية – وبين حجم المنافع التي يمكن الحصول عليها من المنتج النهائي القائم على استخدام تلك العناصر المتنوعة.

كما يفترض – تبعاً لما سبق – وجود علاقة دالية إيجابية بين **تنوع** الخامات والموارد المستخدمة في العملية الإنتاجية، والتوليفات الإنتاجية المطبقة، والأساليب التقنية المتبعة كمتغيرات مستقلة أو تفسيرية من ناحية، وبين **حجم** المبيعات أو حجم الأرباح (كمتغير تابع) من ناحية أخرى.

ومع هذا، يمكن اعتبار طبيعة مجموعة المتغيرات بشكل عكسي، وبكلمات

أخرى، فإنه يمكن اعتبار كل من مجموعتي المتغيرات - بالتبادل - مستقلة أو تابعة. فإذا كان هناك تنوع في الخامات - مثلاً - فإنه ذلك التنوع سيساهم - وفقاً للفرضية الأولى - في خلق منافع وإتاحة استخدامات أكبر لذات المنتج، وسوف يساعد ذلك - بدوره - على زيادة الطلب على ذلك المنتج مما يساعد على زيادة الأرباح المتحصلة من تصريفه. في تلك الحالة يعتبر تنوع الخامات متغيراً مستقلاً بينما يعتبر حجم المبيعات متغيراً تابعاً. لكن على جانب عكسي، يمكن اعتبار حجم المبيعات متغيراً مستقلاً وتنوع الخامات متغيراً تابعاً إذا ما أدى حجم المبيعات (نتيجة لكبر حجمه النهائي) إلى تحفيز المنتج على زيادة إنتاجه وبالتالي زيادة طلبه على الخامات والتنويع في المستعان منها بهدف تغطية الاحتياجات الإنتاجية لمقابلة الأحجام المتزايدة للمبيعات، وهنا يصبح تنويع الخامات متغيراً تابعاً لحجم المبيعات.

كل هذا، يفترض صحة تحققه بشرط بالغ الأهمية وهو شرط **الانتفاع** أو **الفعالية** المتحققة من استخدام الخامات المعنية في العملية الإنتاجية المستهدفة، وكذلك الانتفاع والفعالية التي يتمتع بها المستهلك والمستخدم للمنتج نهائي الصنع.

وصدق الله تعالى في قوله الحكيم ﴿ ...يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: 69]

(3) غراب قابيل كرائد تعليمي تدريبي لتطبيق إحدى استراتيجيات حماية البيئة من التلوث:

في الآونة الأخيرة من القرن العشرين، تم استحداث مسميات واستراتيجيات للتنمية بحيث يمكن أن تتلاءم مع تحديات وظروف العصر، وكان من بينها الإستراتيجية المسماة بالتنمية المطردة Sustainable Development حيث تقوم تلك الإستراتيجية المستحدثة على أساس جوهري يتمثل في ضرورة حماية البيئة من التلوث. والواقع

أن ذلك الأساس ليس بالشيء الجديد كما يدعى أو يعتقد كثير من المتخصصين، لكنه قديم قدم البشرية وتواجدها على الأرض الدنيا وبصفة خاصة بعد قتل قابيل لأخيه هابيل وحيرته في كيفية التعامل مع جثة أخيه.

وبالرجوع إلى تلك القصة القديمة، نجد أن أول معلم للبشرية لأحد الأصول الهامة لحماية البيئة من التلوث كان غراباً، وذلك بالتخلص الصحي من جثث الموتى بالدفن تحت الأرض ويتجلى ذلك في الآية الكريمة ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المائدة: 30-31].

ويتضح من الآية السابقة أن الله يجند بعض جنوده من الكائنات غير البشرية (التي قد يستهين البشر بها) لتكون وسائل تعليمية أو تدريبية أو إرشادية في دنيا المعارف والسلوكيات الجادة، وهو ما يدعو البشر إلى متابعة سلوكيات الكائنات غير البشرية والتدبر الجاد في تحركاتها.

وفى ذلك المقام تحضرني قصة حدثت معي وكانت معلمتي الحكيمة فيها (نملة) دقيقة، صادفتها أثناء سيرى على رصيف خال من المارة، فاستوقفتني بحركاتها السريعة المنظمة حيث لاحظت أنها تحاول بصبر وبجدية تحسد عليها أن تحمل قشة بدت أثقل من وزنها الفعلي أو من قدراتها الحقيقية، وفجأة برزت أقدام ضخمة لرجل قادم من الجهة المقابلة واعتقدت أنه سحق النملة المسكينة بأقدامه ووجدت نفسي غير قادرة على الاستمرار في طريقي قبل أن أعرف ماذا حدث لها بعد مضى العابر إلى سبيله وكأن الله أراد لي أن استمر في تلك الدورة التدريبية التربوية الاقتصادية البرقية حيث فوجئت بأن النملة لم تمت، وعرفت ذلك من معاودتها بفعل ذات التحركات المنتظمة السابقة ومحاولة توجهها نحو القشة المنشودة، إلا أنها أصبحت أكثر اضطراباً وبطئاً نسبياً في تحركاتها وأعتقد أنها أصيبت بفزع من

الحادثة التي كادت تهلكها تحت الأقدام الغليظة للعابر، وحسبت أن عجزها عن الثبات المنظم في حركتها وعن حمل القشة المنشودة كفيلاً بتوقفها عن تلك العملية الاقتصادية التي تنطوي على البحث عن موارد للطعام أو لبناء مأوى لها، وبعد لحظات قد تبدو لها ساعات طوال فوجئت بها تتحول عن القشة التي ثبت لها أن نقلها إلى مكان الاستخدام المستهدف لها يفوق طاقة النملة خاصة بعد تعرضها للحادث المفزع تواً، ولكنها مع هذا لم تنصرف بدون أن تتوجه إلى قشة أقل حجماً وقامت بحملها ثم صارت في طريق ومسار لا يعلم سوى الله وجهته النهائية. ووجدتني بعد عملية التدبر المتعمق في تلك الدورة التدريبية العملية المقدمة من الأستاذة (نملة) استكمل طريقي المستهدف وأنا أردد مبدأ اقتصادي رشيد ظللت أتبعه وأدرسه لتلاميذي حتى الآن **وهو ما لا يدرك كله، لا يترك كله!** كما تعلمت حكمة من تواجد النمل بين البشر وهو أنه يمثل عامل نظافة بيئية خاصة في الشوارع والطرق التي لا تفلح شركات النظافة المتخصصة في تخليصها مما يشوبها من ملوثات دقيقة أو مجهرية.

(4) هدهد سليمان كباحث ميداني وكمصدر للكشف عن معلومات إستراتيجية غير متوقعة للبشر:

يقول الرسول الكرم محمد ﷺ «إعملوا فكل ميسر لما خلق له»[1]. وبالرجوع إلى قصة النبي سليمان عليه السلام، نجد أن الله منحه من النعم والقدرات والملكات ما لم يؤت للغالبية العظمى من البشر أجمعين، فقد علمه الله لغة الطيور بل وكيفية توجهاتها ومقاصدها ومداركها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ﴾ [النمل: 16]، بل وأوتى سليمان من الله الملك غير المعتاد ومنحه السيطرة وكيفية التعامل مع

(1) الطبرى عن ابن عباس وعن عمران بن حصين في صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 1074

البشر كجيوش وأفراد وجماعات، بالإضافة إلى الجن والشياطين والوحوش والطيور وكثير من الكائنات الأخرى والدواب مثل النمل المعروفة قصته معه، وأنعم عليه بما لا يتخيله بشر من المعارف والعلوم وفهم وإدراك ومعرفة ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات[1].

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16].

وعلى الرغم من كل هذا، منح الله إحدى المخلوقات التابعة للملك والنبي سليمان قدرة لا يملكها سليمان بحيث تم تمكينه من تحصيل معلومات والتعرف على أمور لم يكن للنبي سليمان أية دراية بها ولا تعامل، وذلك ما حدث مع هدهد سليمان الذي يتضح من الآيات الكريمة أنه كان بمثابة باحث ميداني ومستكشف للمعلومات الإستراتيجية المتعلقة بالدول الأخرى (وهى ما تسمى باللغة الدارجة بالمخابرات أو الجاسوسية) وكان من أهم ما أثمر عنه نشاطه البحثي والتفقدي المعلوماتي للدول الأخرى بعيدة المنال والرؤية، هو اكتشافه لمنطقة (سبأ)، تلك المملكة الكبرى الهامة التي كانت تحكمها المملكة (بلقيس) وكان قومها لا يدينون بدين الله. وبإرادة الله عز وجل. كانت معلومات الهدهد التي نقلها إلى ملكه البشرى سليمان سبباً في تحول جذري لتلك المملكة وملكتها، ويقال أن الهدهد كان يعمل في مهمة أصلية هي التنقيب عن المياه ومصادرها في المناطق المقفرة وتحت تخوم الأرض، وعندما يكتشف ضالته يخبر القوم فيذهبوا إلى المناطق المكتشفة ليحفروها ويستخرجوا منها الماء المطلوب. لكن في هذه المرة وأثناء جولته التفقدية للمياه لاحظ وجود تلك المملكة فلم يهمل أمرها ويكتفي بأداء المطلوب الأساسي منه على المستوى المهني لكنه راقب وتتبع ولاحظ لكي يذهب إلى النبي سليمان

(1) الحافظ بن كثير، 99، ص 371

ليخبره بذلك الأمر الجلل ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النمل: 20-25].

وهكذا، نجد مخلوقاً ضعيفاً بالغ الرقة مثل الهدهد يعلن متباهياً بحالة أنه بتلك الواقعة أكثر علماً ودراية من سيده سليمان الذي كان يهدد تواً بعقابه وبذبحه إن كان قد أهمل ما أوكل إليه من عمل. ومن ذلك المنطلق لا نستبعد أبداً أن يكون الله سبحانه قد خلق كائنات من أجل تعليمنا أو مساعدتنا على اكتشاف ما يصعب على طبيعتنا الخلقية أن نتعرف عليه وحدنا.

(5) الفلكيات وطيور إبراهيم كوسيلة تعليمية تجريبية تشبه حيوانات التجارب المعملية المعاصرة:

ففي درس تجريبي علمي إيماني الصبغة، كان إبراهيم عليه السلام تواقاً للتعرف التجريبي الملموس على كيفية إحياء جثث قد ماتت وتحللت، ولعل رغبته هذه قد نجمت من جانب الجزء المادي الموجود في عقله البشرى، مثله مثل أي عقل بشرى آخر، ولعله اكتسب تلك الرغبة من خلال عمليات التفكر والتدبر في خلق الله بشكل عقلاني منطقي، وكلنا نتذكر بدايات قصته مع ذلك النمط التفكيري في رحلة بحثه الفكري عن الله بين الملموسات الطبيعية التي يلمسها بحواسه من قمر وشمس وغيره ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا

رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: 75-79].

ومن تلك الرحلة التجريبية العقلانية التفكيرية، نلاحظ أن إبراهيم عليه السلام كان في كل مرة يستخدم فيها (ملموس) فلكي كوحدة افتراضية يعتقد أو يصرح بتصوره أنها هي الخالق لما يكتنفها من ظواهر طبيعية تفوق قدرات البشر والكائنات الأرضية التقليدية، ولكنه ينتهي باستنتاج واحد في كل مرات التجربة متعددة الوحدات المختبرة. أنها كلها برغم ما يكتفها من إعجاز نشاطي وإنتاجي إلا أنها كلها تعانى من قصور ما وهو (عدم دوام) عملها الوظيفي الذي يستخدم كمعيار تقييمي لاختبار توافر صفة الإلوهية المهيمنة على الدوام على كل شيء. ولم يمنعه هذا من التمسك بالافتراض الذي وضعه بشكل غير مباشر ولا منطوق، وهو أن لهذا الكون ولتلك الكائنات والظواهر الطبيعية رباً وخالقاً لها ومحركاً لها ومهيمناً على أقدارها. ومن ثم كانت النتيجة النهائية المنطقية التي أعلنها أن الله هو المحرك لكل تلك الوسائل الطبيعية في السماوات والأرض وتوقف عند حدود قدراته البشرية التي أراد الخالق لها أن تكون هكذا .. (محدودة) لأن اللا محدودية في العلم والهيمنة لا يملكها أبداً سوى الله الخالق وحده سبحانه.

ثم تستمر الرحلة الفكرية العقلانية التجريبية المنطقية التالية لإبراهيم عليه السلام حين رغب في التعرف على المنطقي العقلاني الملموس على كيفية انبعاث حياة لمن مات وتحلل وذلك وفقاً لما أخبر الله تعالى به عن حقيقة البعث والقيامة ويوم الحساب. ومن الجلي أننا نستخدم مصطلح (العقل) كتعبير خطأ عن مواضع التفكر المنطقي العلمي، لأن المصطلح الصحيح الذي ورد في الآيات الشاملة للقصة الجارية كان (القلب) وفى كثير من الآيات الأخرى إما يستخدم ذلك المصطلح

بعينه أو يستخدم مرادف مماثل وهو (الفؤاد) مثلما نجد في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: 36].

ونحن مثلاً عندما نجد أمراً أو حدثاً غير معتاد نقول قولتنا الفطرية الشهيرة (يا مثبت العقل والقلب يا رب) كنوع من الاستغاثة حتى لا يصيبنا خبال عقلي، غير أن الآيات تدلنا على أن الخبل العقلي أو الفكري يكون محله الفؤاد بدليل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: 32]، وكلنا نعلم الحديث النبوي الصحيح الذي يرشدنا إلى ما يجب أن نفعله في حالة اختلاط بعض المتناقضات على أفهامنا ومداركنا، فعلينا وقتها استفتاء القلب. فعن وابصة بن معبد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له «جئت لتسألني عن البر والإثم فقال نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت به، في صدرى ويقول يا وابصة **استفت قلبك واستفت نفسك** ثلاث مرات البر ما **أطمأنت إليه** النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»[1].

وبالرجوع إلى طيور (التجارب) التي استخدمت في الدرس العلمي التعليمي التجريبي من الله سبحانه وتعالى للباحث المتفكر المنطقي إبراهيم عليه السلام، وجدنا كل الدرس التعليمي هذا ملخصاً في كلمات القرآنية الإعجازية التالية ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: 260].

---

(1) رواه الإمام أحمد (17545)

(6) حمار العزير كوسيلة تعليمية تجريبية للتوصل إلى مسلمة حول إحياء الموتى كقدرة إلهية منفردة:

مثل الحال المتعلق بطيور إبراهيم عليه السلام، ففي قصته مشابهة ولكن في زمن أخر وبكيفية أخرى. وملخص ما روى عن تلك التعليمية التجريبية التي علمها الله سبحانه وتعالى لعبده الصالح «عزير». أن عزيراً كان عبداً صالحاً حكيماً، خرج ذات يوم إلى ضيعة له. وبعد انتهائه من عمله فيها، كان الطقس شديد الحرارة خاصة أن الوقت آنذاك كان في الظهيرة، فأخذ معه (حماره) ومكث معه في خربه أو مغارة لاتقاء حرارة الشمس الوهاجة وكان معه سلة بها بعض الثمار التي اقتطفها من ضيعته من تين وعنب وخبز. فاعتصر العنب وألقى فيه كسرات الخبز ليبتل ويطرى بعض الشيء، ثم استلقى على قفاه وأسند رجليه إلى الحائط ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة: 259].

فنظر إلى سقف تلك الخرابة وظل يتصور حالها الخرب الآن، وما يعترى عروشها من بلى وتهرؤ وأخذ يتعجب من أنها مع ذلك مازالت قائمة يمكن الاستظلال بها، برغم أن السكان من أهلها قد ماتوا وأصبحوا عظاماً بالية وتساءل في نفسه سؤال الباحث المتفكر ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴾ [البقرة: 259]، فأرسل الله ملك الموت فقبض روحه ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ﴾ [البقرة: 259] وبعد تلك الفترة الطويلة بدأ درس «قدرة الله على إحياء الموتى» كمسلمة أو كبديهة في مجال «الخلق والموت والبعث» فبعث الله إلى عزير ملكاً، فخلق (قلبه) ليعقل به و(عينيه) لينظر ويستبصر ويرى بها الدلائل المنطقية الملموسة، لأمور غير منظورة ولا محسوسة وهى تلك المرتبطة بعمليات الإحياء والموت والبعث، ثم كسى عظامه باللحم والشعر والجلد ، ثم نفخ فيه الروح .. وأتاح لعزير رؤية ومراقبة كل ما يحدث له من كسوة عظامه ومن نفخ روحه وكان عزير يعتقد أنه يستيقظ من نومه الذي طال لمدة يوم أو جزء من يوم فقط ولم يدرك أبداً المائة عام التي غاب فيها عن

عالم الدنيا طالما استيقظ فيه على ذات الحال التي كان عليها وقت موته ﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ [البقرة: 259]. ووجد أن العصير مازال على حاله وأن الخبز مازال يابساً على ذات الحال قبل موته مباشرة ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ ﴾ [البقرة: 259].

كل هذا كان أمراً طبيعياً لا يحث عزير على الاعتقاد بحدوث أي أمر غير مألوف، لكن عند نظره إلى حماره بدء في الاستدلال العلمي المنطقي حين وجده ميتاً، وعظامه بالية نخره، وبقدرة الله تعالى وباستخدام الملك المرسل لتنفيذ التجربة التعليمية التجريبية نادى الملك عظام الحمار فأقبلت من كل ناحية وقام الملك بتركيبها كما كانت قبل موته وتحلله، ثم البسها العروق والأعصاب، ثم كساها لحماً، ثم أثبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيه الملك، فقام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه إلى السماء، ناهقاً لأنه يظن أن ذلك يوم القيامة ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 259].

فلما أفاق عزير من دهشته وتمكن من استيعاب الدرس العلمي التجريبي المعجز، أقرن بنظرية منطوقه حول القدرة الإلهية اللا محدودة والتي كان يؤمن بها ولكن لم يلمس أبعادها بشكل تجريبي محسوس حتى تلك اللحظات المشهودة[1]. ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 259].

(1) مزيد من التفاصيل حول القصة وشرحها، الإمام الحافظ بن كثير 1999، مرجع سبق ذكره، ص 400-405.

(7) دابة الأرض ومسلمة أن (فوق كل ذي علم عليم) وان أصغر المخلوقات وأحقرها مظهرا قد تكون أفضل علما وأقوى هيمنة وقدرة من البشر المتباهين بعقلهم وبقدراتهم:

من أسوأ ثمار الحضارات الفكرية والعلمية المعاصرة، تمادى كثير من البشر خاصة العلماء منهم، في تعظيم (الأنا) و(العقل) البشرى حتى بلغ اعتقاد بعضهم بإمكانية استقلالهم عن خالقهم وإمكانية انفرادهم بالهيمنة الكونية، بل ومنافستهم المتبجحة على الله الخالق سبحانه وتعالى عما يصفون. وفى ذلك نتذكر تصريح العالم المصري العالمي ذائع الصيت «أحمد زويل» بأن (نيوتن) كان (متديناً)، في خطبة له قدمها في مؤتمر بتونس في يوم السبت 7 يوليو 2012 حول كيفية النهوض بالجانب العلمي بعد انتهاء ما يطلق عليه بثورات الربيع العربي !!! وكان يريد بذلك التوصيف إقناع الحضور بضرورة فصل الدين عن العلم لأن «الدين لا يستطيع أبداً الاندماج مع العلم» وذلك كما صرح ذلك العالم المبالغ في عقلانية أفكاره وتوجهاته .. وتصريحاته.

وقبل الحديث عن موضوعنا الرئيسي حول دابة الأرض الأكثر (علماً) من الجن والبشر، نود أولاً أن نوضح أن ذلك الـ (نيوتن) أدعى بأن الخالق «كان لاعباً أساسياً عند بدء الخليقة للكون فقط»[1]، كما أعلن ذلك الفلكي والرياضي المقدس من قبل البشر لاكتشافاته الفلكية المتميزة أن (الله منح الإنسان كتابين فقط هما الكتاب المقدس والطبيعة) وزعم بأن لغة كتاب الطبيعة هي لغة الرياضيات وبأن استخدام الرياضيات والتجربة يمكن أن توصل الإنسان إلى نتائج علمية صحيحة بدون الاستعانة بالكتابات المقدسة مثلما - يدعى - أنه قد حدث معه،

---

(1) تودج بوشهولز، 1996، ص 29.

عند وضع قانونه الخاص بالأجسام المتساقطة[1].

لقد دلنا الله على تلك (الأنويات) البشرية الملحدة بتعظيم عقولها وقدراتها العلمية في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: 24].

إن الله علمنا أنه الأعلم بكل الأمور والأحداث والعلوم والفكر. وهو وحده الذي يهب بعض من علمه اللادونى لمن يشاء بشراً كان أم مخلوقات ضعيفة تعتبر في نظر الكثيرين بالغة الوهن لإمكانية القضاء عليها بضغطة أصبع أو بضغطة قدم! مثل دابة الأرض أو السوس أو الدود، فكله يعلم متى يصبح طعامهم من الأخشاب وجثث البشر وسائر المخلوقات الأخرى جاهزاً وناضجاً بالنسبة لهم فيذهبون إليه سراعاً لالتهامه بينما البشر الأحياء غافلون بنزق بشريتهم عن ملاحظة بديهيات مجريات الشواهد والأحداث.

ذلك ما حدث تمامًا حين مات سليمان عليه السلام، ومع ذلك لم يفطن الجن ولا الإنس ولا المخلوقات التي كانت تعمل تحت هيمنته لما حدث، وظل الجميع يواصلون أعمالهم وانجازاتهم لفترة زمن طويلة يقال أنها امتدت نحو 100 عام. والمخلوق الوحيد الذي منحه الله تعالى معلومة موت سليمان كانت دابة الأرض التي بمجرد علمها بموت سليمان سارعت إلى عصاه التي كان يتوكأ عليها وقت انقباض روحه وظلت تأكل منها وتنخرها بلا كلل ولا ملل .. والكل حوله يرونه في جلسته هذه في وضع تخيلونه معتاد !! ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ: 14].

---

(1) المرجع السابق، ص 28.

ومن ذلك النموذج التعليمي غير المباشر، يمكن أن إدراك أن غاية العلم الراقي والصحيح لا يقتصر على جنس البشر وعلى عقل البشر فقط حيث دائماً ما يسود اعتقاد يتطلب التحقق من صحته وهو أن (الإنسان يتميز عن سائر المخلوقات «بالعقل»)، فها هي تلك (سوسة) أو مخلوقه بالغة الضعف تعلم ما لم يعلمه ليس البشر وحدهم ولكن الجن الذين يلجأ إلى الاتصال بهم كثير من الناس للتعرف على غيب لا يملكه ومفاتيحه إلا الله وحده. كما أن هناك درساً آخر يمكن الاستفادة منه في مجال البحث العلمي، وهو استخدام المخلوقات الأخرى في عمليات الاستكشاف والاستدلال العلمي الذي يفوق معارف وإمكانيات البشر، مثل التنقيب عن مصادر الموارد الطبيعية الكامنة كالبترول والمعادن، فبكل تأكيد ستتأكد مسلمات حول تواجد كائنات بعينها تنمو وتتكاثر وتتواجد في مثل تلك المناطق وتعمل كمصابيح كاشفة يتيحها الله للإنسان الباحث عن حقائق الأمور ومصادر العلم والثروة وغيرها الكثير. وفى النهاية يجب أن نتعلم أن كل ما يظهر من علم بشرى متقدم ما هو إلا جزئية لا تذكر من علم صاحب العلم القدير ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: 85].

(ج) خلق الإنسان، والظواهر الطبيعية:

1- نشأة الإنسان ونموه ونهايته، وما بين كل هذا:

ما من شك، في أن تتبع عملية خلق الإنسان منذ أن كان نطفة ثم جنيناً له عالمه الخاص داخل (دنيا بطن أمه أو رحمها)، ثم وليداً يعيش مدة أربعين يوماً لا يدرك من حوله ومع هذا يبكى إذا جاع أو شعر بألم، ويعرف مكان غذائه فيهرع إليه في مكانه المحدد بجسد أمه أو مرضعته ويقبل لبن الأم ويرفض تناول الأدوية والعقاقير ذات المذاق المختلف، ثم يتدرج تنامى ذلك المخلوق البشرى الضئيل

ليصبح شاباً يافعاً كامل المدارك ورشيد الأفكار والأحاسيس .. ثم ينتهي به الحال إلى ذات مرحلة الطفولة إن بلغ به العمر أرذله، ليذهب في النهاية إلى دنيا المجهول .. كما جاء في البداية من دنيا المجهول بالنسبة للإنسان العادي .. ما من شك، في أن تتبع تلك العملية، وغيرها من مظاهر خلق النفس والغير من المبدأ إلى المنتهى، ومن عجائب التركيب البشرى واختلاف في الألوان والألسنة وغيرهما، لابد أن يكون كل ذلك مصدراً ذاخراً بصنوف صعبة الحصر من معارف ومعلومات ترتبط كلها بعلم الإنسان الذي سُمِّى بـ (الأنثروبولوجيا). وقد أرشدنا الله تعالى في قرآنه الكريم إلى الأهمية البالغة في الاستعانة بذلك المصدر التعليمي العام وذلك بقوله تعالى ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: 21].

2- الآفاق من أقطار السماوات والأرض وغيرهما:

فقد أرشدنا الله تعالى إلى مصدر معلوماتي، تعليمي، تربوي أخر بالغ الأهمية وهو الآفاق من أقطار السموات والأرض من نيران ونبات وأشجار وظواهر طبيعية ... الخ، ففي ذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: 53].

ولقد ذكرت (الأرض) في مواضع كثيرة من القرآن للتذكير بأهميتها ليس فقط كمورد اقتصادي يستخدم أو كموطن معيشي وسكنى للبشر وللكائنات الأخرى، لكن أيضاً كوسيلة تعليمية ومصدر غنى بالمعارف الاستدلالية النظرية، وبالموارد المجهولة التي تحث الإنسان على ضرورة العمل من أجل التعرف عليها والاستفادة بها. وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الذاريات: 20]، ثم يتبعها بنفس المصدر التعليمي المحوري المتمثل في خلق الإنسان ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: 21].

أما عن التيار الفكري العلماني أو الملحد الذي يدعى أن الأرض والطبيعة هي المتحكمة في عملية الخلق والظواهر الطبيعية المختلفة، حيث اتخذت الأرض والطبيعية رباً بديلاً للخالق سبحانه وتعالى، فنقول لهم أن كل ذلك من مخلوقات الله سبحانه، وأنها جميعها تمارس أنشطتها بأمره وحده، وإلا فكيف يفسرون وجود أراضى موات لا تصلح للاستزراع برغم كل ما يبذلونه من جهود لتحقيق ذلك الهدف، ومع هذا نجد أرضاً أخرى لم يفعل لها الإنسان أي شيء ومع هذا تتنامى بزروع شتى لمجرد نزول المطر عليها. وفى نفس الوقت تظل الأراضي القفراء الأخرى مجدبة برغم نزول ذات المطر عليها؟! ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: 39].

ومن الظواهر الطبيعية التي يمكن استخدامها كمصادر معرفية خاصة في مجال العلوم الحسابية والرقمية والفلكية ظاهرة تعاقب الليل والنهار ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: 12].

3- قصص تعليمية واقعية:

ومن القصص الواقعية الشهيرة التي تدل على أن التأمل في الآفاق وفى الظواهر الطبيعية يمكن أن يعلم الإنسان الكثير، وأهمها التعرف إلى الله عز وجل والاستدلال على وجوده، قصة عالم الفضاء الروسي (يورى جاجارين) الذي صرح بأنه عندما صعد إلى الفضاء الواسع سمع صوتاً وكلمات عجيبة تنطلق بترنيمات لا يعرفها ولم يسمعها من قبل في بلاده (المعروفة بالاتجاه الشيوعي الملحد). وعندما زار مصر فوجئ بسماعه لذات الترنيمات، فلما سأل عرف أنه صوت الآذان فكان تدبره العقلاني لما حدث في الآفاق الرحبة وعلى أرضنا الدنيا من ذات الظاهرة غير المألوفة لديه سبباً لهدايته إلى اعتناق الإسلام.

ويلاحظ من تلك القصة الواقعية أن ركائزها كانت ملاحظات وشواهد طبيعية، ثم تحولت - إلى تحليل منطقي علمي بحث، ثم انتهى بثمار دينية بحتة وهى تغيير حال الإلحاد إلى اعتناق دين التوحيد - وهو يمكن أن يستخدم كدليل دامغ على حتمية الربط بين العلم الدنيوي والدين الروحاني لأن كلاهما يكملان بعضهما كأسباب، وكوسائل، وكنتائج وثمار نهائية.

4- مدرسة الطبيعيين كنموذج غير إسلامي لاستخدام الطبيعة كجانب روحاني أساسي للعلم البشرى المادي:

وفى ذلك التلاحم الوثيق بين الدين والعلم قد يفيد عرض نموذج آخر يمكن التقاطه من المدارس الفكرية غير الإسلامية التي أصبحت محل إتباع وتداول علمي موثق موثوق به حتى الآن، وهو نموذج مدرسة الطبيعيين. فقد كانت تلك المدرسة الفكرية تتكون من مجموعة من علماء الطب والفلك والعلوم والطبيعة، وتتبعوا بدقة علمية ومنطقية الظواهر الطبيعية الفلكية خاصة ما يتعلق منها بحركة المجموعة الشمسية، وكذلك آليات عمل أعضاء الإنسان وكيفية أدائه لوظائف المتشعبة، وخاصة ما يحدث في الدورة الدموية للإنسان. ونتج عن ذلك التحليل التبعي مبدأ هام وهو حتمية ترك النظام الطبيعي للظواهر وللموارد يعمل كما هو ووجوب عدم التدخل البشرى بتعديله، ولا يجب أن يحدث أيضاً أي تدخل في تعديل مسارات الدورة الدموية في جسم الإنسان، لأن الخالق (وفقاً لقولهم) أعد الكون ومخلوقاته وفقاً لنظام طبيعي معقد، وأي تدخل فيه سوف يتسبب في الإخلال بالتوازنات الحادثة مما يمكن أن يؤدى إلى إهدار ودمار ما يصاب بالتدخل البشرى القاصر في علمه ومداركه[1].

---

(1) زينب الأشوح، 97، ص52.

5- من المدارس الطبيعية التعليمية التجريبية:

ولقد تأكدت صحة القوانين والمبادئ الطبيعية التي تضمنتها مدرسة (الطبيعيين) من خلال وقائع فعلية مثلما حدث في الصين حين تمت عملية ناجحة في إبادة قومية شاملة للذباب شارك فيها الشعب الصيني (المعروف بجديته وبتفانيه في إنجاز المطلوب منه). ولكن بعد اختفاء الذباب، تم اكتشاف الخطأ الجسيم لتلك العملية حيث اكتشف ما لم يدرك من قبل (برغم وضوحه لمن يتابع ويتبصر)، أن الذباب هو في واقع الأمر من أهم المنظفات البيئية الطبيعية لأن من أنشطته ووظائفه، تحليل القمامة وروث المواشي ونفايات الإنسان والحيوانات النافقة.

وفى تجربة مماثلة في نفس الدولة التي لم تستوعب الدرس جيداً، حيث لوحظ أن العصافير تتغذى على 10٪ من المحاصيل الزراعية. فتم شن حملة إبادة (جماعية) ناجحة عليها، وأيضاً، تم اكتشاف خطأ تلك الحملة برغم نجاح أهدافها، حيث بدأت البلاد بعد حدوث تلك الإبادة (الناجحة من وجهة نظرهم) تعانى من تكاثر شديد لبعض الحشرات الضارة بالمحاصيل الغنية، بل وبالبيئة المحيطة من حولها أيضاً. وتعلم المسئولون درساً مفيداً من ذلك الخطأ، فتم سن قوانين لحماية العصافير، بل وكل الكائنات التي اتضح أنها تفيد في التهام الحيوانات المريضة والنافقة والتخلص منها بشكل طبيعي مما يساعد في إعادة التوازن البيئي النظيف بالبلاد[1].

وما لنا، لا نتذكر حادثة الإبادة الجماعية للخنازير في مصر في عامي 2009، 2010 حين انتشر وباء حمى الخنازير، فاتبعت تلك الحملة كإجراء وقائي ضد ذلك المرض الوبائي المفزع، ألا نتذكر ما حدث بعد (نجاح) أهداف تلك الحملة؟ لقد تراكمت جبال القمامة وملوثات البيئة حتى في أرقى المناطق السكنية في مصر

---

(1) احمد عبدالوهاب، 95، ص 571، 572.

بشكل خرج عن إمكانيات البشر وشركات القمامة الأجنبية العاملة في مصر ومحاولاتهم من أجل تخليص مصر من تلك الظاهرة البيئية المفزعة - لماذا حدث هذا؟ لأن الخنازير كانت تستخدم كأوعية قمامة طبيعية، حيث كان غذاؤها الرئيسي يتمثل في كل أنواع القمامة، فلما تم التخلص من تلك المنظفات البيئية الحيوية الطبيعية، فشل الإنسان في توفير البديل الاصطناعي المماثل في الكفاءة الوظيفية المستهدفة.

من أجل هذا، ترشد التعاليم الإسلامية التعليمية التربوية إلى توخى الحذر في عمليات إبادة مثل الكائنات الأخرى إلا لضرورة فعلية. ومن ذلك عدم قتل الطيور عبثاً وذلك كما ورد في الحديث الصحيح «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة»[1].

6- الظواهر الطبيعية هي أول مدرسة لتعليم الإنسان البدائي وهى أول شكل للمدارس التعليمية الانتظامية:

عندما يقول الله تعالى للبشر ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾ [الجاثية: 13] فلابد أن يوقن هؤلاء البشر أن كل ما في السماوات والأرض ليست فقط بمثابة موارد طبيعة يتيحها الله سبحانه للإنسان من أجل إنجاز عمليات الإعمار والتنمية الاقتصادية المعيشية، لكن أيضاً فهي بمثابة أسس ووسائل تعليمية مجانية متاحة لمن يريد أن يتعلم وينمى قدراته وملكاته، حتى إن عجز عن الالتحاق بالمؤسسات التعليمية النظامية. ويمكن دعم تلك الرؤية الاستنباطية من كثير من الآيات القرآنية مثل التي أشير إليها تواً، وسابقاً،

---

(1) رواه النسائي وابن ماجه في صحيحه، وحبان في صحيحه، الكنز الثمين للحسنى، رقم 3852، ص 585.

وأيضاً مثلما توضح الآية الكريمة ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الجاثية: 4] حيث يمكن اعتبار تلك الآيات القرآنية مسلمات وبديهيات ثابتة يمكن أن نبنى عليها افتراضات وفرضيات وركائز تحليلية لا نهاية لها.

أما ما يغفل عنه الكثير من البشر فهو إغفال الدور التعليمي الأساسي المباشر لتلك الأمور الظواهر الطبيعية واعتبار ما يدرس منها بمثابة مقررات منهجية تتم دراستها بالشكل التقليدي داخل أروقة المؤسسات التعليمية المعتادة، أو من خلال المعامل والقاعات التجريبية البحثية التخصصية.

فإن ذكرنا مثال (نيوتن) حين اكتشف قانون الجاذبية الأرضية من خلال تأمله لظاهرة طبيعية تمثلت في سقوط تفاحة من شجرة يجلس تحتها، قد يقول قائل انه بنى ذلك القانون من خلال نظريات وقوانين رياضية قام هو وآخرون بها من قبل ومن بعد ! ولنرجع إلى قوله هو كعالم منغمس في القدرة الخارقة للأنا البشرية حين ادعى بغطرسة (الأنوية العلمية البشرية) أن الخالق (كان لاعباً أساسياً عند بدء الخليقة للكون فقط) !!![1]، ومثله فعل الفلكي الملحد «جالليليو جاليلى» حين قال (إن الله منح الإنسان كتابين فقط هما الكتاب المقدس والطبيعة، وزعم أن لغة كتاب الطبيعة هي ذاتها لغة الرياضيات)، وأدعى أنه باستخدام لغة الرياضيات والتجارب الطبيعية، تمكن الإنسان من التوصل إلى نتائج علمية صحيحة بدون (الاستعانة بالكتابات المقدسة) !!! ودلل على صحة ما يقول بتمكنه من وضع قانونه الخاص بالأجسام المتساقطة بدون الحاجة للاستعانة بتلك الكتابات المقدسة[2]. وجهل هذين العالمين المتغطرسين وأمثالهما أن كل ما تعلماه هو بإلهام

(1) تودج بوشهولز، 1996، ص 29.

(2) المرجع السابق، ص 28.

من الله وبإرشاد من قبل ما يحدث من الظواهر الطبيعية التي سخرها الله للإنسان كما ورد في الآية ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾ [الجاثية: 13] وجهل هؤلاء أن الله هو الخالق لكل البشر وهو الخالق لعقولهم ولما يتمتعون به من إمكانيات عقلية وتحليلية وتشغيلية وغيرها «إن الله تعالى صانع كل صانع وصنعته»[1].

ومن أكبر الأدلة على أن الطبيعة ومظاهرها، والدواب وغيرها يمكن أن تمثل وسائل المدرسة التعليمية الأساسية الأولى في حياة الإنسان، ما يمكن الوقوف عليه حين نعود بعجلة الزمن التاريخية إلى عصر الإنسان البدائي الذي تعلم كل شيء في مدرسة الحياة والطبيعة التجريبية بإلهام من الله وفضل، وكان من الدروس الهامة التي تعلمها الإنسان البدائي هي أن لكل مورد خاصتين إحداهما سلبية أو مهلكة، والأخرى إيجابية ونافعة. وكانت الوسائل التعليمية وقتها: حرائق الغابات، والنيران، وجثث الحيوانات المحترقة، وكذلك جلد الإنسان وما صاحب ذلك من (افتراضات) أو أحوال سائدة من برودة قارصة وظلام دامس تصعب الرواية فيه!

فقد أشارت إحدى الدراسات التاريخية الرائعة[2]، إلى أن الدرس التعليمي الفعلي كان قد بدأ وقت حدوث اشتعال لنيران كثيفة، وقوية في الغابات التي كان يعيش الإنسان البدائي في ربوعها، وقد حدثت تلك الحرائق بفعل العوامل الطبيعية وتفاعلاتها المختلفة، فشعر بلهيبها الذي كاد يشوى لحمه ويؤلمه عند اقتراب ألهبة النار منه، فسارع بالابتعاد عنها وأدراك أن النيران شيء سيء يجب تجنبه. لكنه لاحظ، أن إشعالها وقت الظلام الدامس، يضيء المكان كله ويمكنه من رؤية كل ما

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج1، 1777.
(2) هندريك فان لون، 1958، ص 14.

حوله كأنه وقت النهار المألوف، كما لاحظ أن تلك النيران لا تفيد فقط كوسائل للإنارة والاسترشاد، لكنها أيضاً تبعث الدفء في المكان المتجمد بفعل العواصف الثلجية القاسية، فأدرك الإنسان أن النار تنطوي على منافع كثيرة له. وتعرف على منفعة جديدة لها، حين كان يبحث وقتها عن غذاء حيواني ليصطاده، فوجد جثة حيوان محترق، فسحبه ليأكل منه كغذاء مضمون أكثر من حيوان برى لم يظهر بعد في الأفق، وعند تناول لحمه لاحظ أنه أفضل رائحة وأطيب مذاقاً مما يأكله من لحوم الحيوانات الحية المعتادة.

ويبدو أنه فكر كثيراً في كيفية الاستمرار بالاستفادة من تلك النيران لمدد زمنية أطول، فتتبع أسباب زيادة اشتعالها فوجدها في الأشجار المتناثرة، فأدرك أن تلك الأشجار يمكن استخدامها ليس فقط لالتقاط الثمار أو للاستظلال بها، لكن أيضاً كوسائل للوقود، وعندما تساقطت الأمطار وجد النيران قد انطفأت عند الأشجار المبتلة بينما ظلت مشتعلة في الأشجار التي لم تتساقط الأمطار عليها، ومن ثم سحب جذع شجرة جافة مشتعلة وأدخلها داخل مسكنه البدائي، فأضاءت له المكان، وبعثت على المكان الدفء ومشاعر لذيذة أخرى لم يعهدها من قبل ..

واستمرت مدرسة الحياة في العطاء التدريبي والتعليمي، وارتقى الإنسان على درجاتها المعرفية، وتعلم من الطير صناعة الطيران، وتعلم من القط كثير من الرياضيات، وتعلم من النمل والنحل دروس الفرق التعليمية والبحثية الجماعية والعمل الإنتاجي الجماعي، وتعلم .. وتعلم .. ومازال يتعلم، لكنه بمرور الأيام وحدوث التراكم المعرفي لديه أصبح جاحداً ومتجاهلاً لأهم مصدر معرفي نموذجي وهو العلم الإلهي الشامل والخالد والثابت !!!

وبوجه عام، فمن يرغب في التعرف على المزيد المتعمق حول كيفية الوصول إلى مزيد من الأفكار والمعلومات المفيدة من خلال التدبر في عملية الخلق وفى

الظواهر الطبيعية على اختلاف أنواعها، يوصى بالرجوع إلى الكتاب الموسوعي الذي يمثل تجربة فعلية متكاملة قام بها استشاري في طب الأطفال ودونها في كتابه «تبارك الرحمن في خلق الإنسان»[1].

ثانياً: المصادر والوسائل المعرفية التقليدية:

وهى تلك التي تحظى بقبول واتفاق غالب بين الأوساط العلمية والمعرفية التقليدية والتي يتم الاستعانة بها بصفة خاصة في مجالات البحث العلمي المتخصص. وقد يكون من الأفضل عرضها من خلال تصنيفين منفصلين لدواعي الدقة التفسيرية المستهدفة وذلك مع افتراض احتمالات حدوث تداخل في مكوناتها في كثير من الأحوال.

(أ) **بعض المصادر التقليدية الهامة للأفكار وللبيانات وللمعلومات:**

1- الدراسات السابقة:

ويفضل منها الدراسات الموثقة بإحصاءات ونظريات وبمراجع حديثة ومتخصصة، وتلك التي تم نسج مكوناتها بواسطة مفكرين وعلماء من أهل الخبرة والتخصص، وأن تكون تلك المرجعيات معروضة بلغة واضحة ومفهومة تماماً وملائمة للطاقة الاستيعابية الفكرية والمعرفية لقارئها. ومن الأمثلة على تلك المراجع، الكتب والقواميس البيانية المتخصصة والرسائل العلمية المعقدة وأعمال المؤتمرات والندوات ..... الخ.

2- المصادر الإحصائية:

وهى التي تشمل بيانات ودلالات رقمية وأشكالاً بيانية وجداول تصنيفية

---

(1) طه على سيف، 2000.

توضحيه وتصنيفية لها. وفى تلك الحالة، عادة ما توجد مجموعتان أو ثلاثة من المصادر الإحصائية:

أ- مصادر أولية أو أساسية:

وهى المصادر الأصلية التي تم من خلالها تجميع البيانات والمعلومات المعروضة، وكلما كان ذلك المعروض موثق ومعروف كيف تم حسابه وتقديره، كلما دل ذلك على كفاءة المصدر وارتفاع درجة صلاحية المرجعية والعكس بالعكس صحيح.

ومن الأمثلة على تلك المصادر النشرات الإحصائية الدورية المحلية (مثل نشرات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء)، ونشرات الوزارات المتخصصة (مثل نشرات وزارة الاستثمار ونشرات وزارة السياحة .....)، والنشرات الدورية العالمية (مثل منشورات الأمم المتحدة، ومنشورات صندوق النقد الدولي ...).

ب- مصادر ثانوية:

وهى التي ترد فيها بيانات ومعلومات نقلاً عن المصادر الأساسية الأصلية أو بشكل حسابي مختلف، أو بطريقة غير مباشرة، مثل تلك الواردة في الدراسات المختلفة كنتائج لتحليلات أو لاستنتاجات منطقية معينة أو المنقولة عن مصادر مختلفة كمصادر إعلامية أو من خلال عقد لقاءات مع متخصصين ..... الخ.

ج- مصادر ميدانية:

وهى مصادر أولية وأساسية لكنها تختلف عن السابق ذكرها في أن من يقوم بتجميعها مباشرة هو الباحث المعرفي ذاته حيث ينزل إلى الميدان المعنى له ويبدأ بتجميع البيانات من خلال وحدات بشرية معينة.

ودور الباحث الميداني يختلف هنا عن دور الإعلامي التقليدي، في أن الأول يكون مفيداً بضوابط وبشروط علمية لا مناص منها سواء في اختيار العينة الاختبارية الأولية أو في اختيار العينة الدراسية النهائية، أو في تصميم استمارة الاستقصاء

الملائمة، أو في تحديد طبيعة وأسلوب ذلك التحصيل المعرفي إن كان سيتم من خلال مقابلات شخصية، أو ملأ استمارة استبيان معينة، وإن كان من سيقوم يملئها الباحث ذاته أم آخرون ومن هم هؤلاء الآخرين؟ ..... الخ.

3- مصادر وثائقية وتاريخية ومستندات رسمية:

خاصة في مجالات الدراسات التاريخية أو الدراسات التطبيقية المباشرة على وحدات بعينها

4- وحدات تجريبية ملائمة لموضع الاهتمام المعرفي المنشور:

مثل محاليل الاختبارات المعملية، وحيوانات التجارب التشريحية ومساحات أراض وصوبات في المجالات الزراعية ... الخ.

5- وسائل الكترونية واتصالات:

مثل استخدام وسائل الاتصال الاجتماعي والهواتف الأرضية والجوالة خاصة في حالات الأهداف المعرفية الخارجية عن نطاق التواصل المباشر بين الباحث المعرفي من ناحية وبين ما يريد التعرف عليه من ناحية أخرى. وذلك يحدث أكثر في حالات البحوث المعرفية الدولية.

6- تجارب سابقة لآخرين:

من باحثين أو دول أو مؤسسات ... الخ، مع التتبع التاريخي الشامل للتجارب العينية، وهو مصدر هام جداً يرتبط بالمنهج التاريخي الذي يفيد في إتاحة استعراض صورة شاملة للبدايات ثم تطوراتها ثم للنهايات التي آلت إليها تلك البدايات .. ومنها يمكن للمحلل المعرفي المحنك استقرار واستنباط العديد من المعلومات والروابط المباشرة وغير المباشرة التي تمكنه من الخروج بصورة معرفية وتطبيقية أكثر رشداً وإتقاناً.

(ب) بعض المناهج والوسائل والأدوات المستخدمة في مجال الاستجلاب والاستغلال المعرفي الجيد:

1- المنهج المعرفي أو العلمي:

هو الطريق أو المجال المستهدف إتباعه في الرحلة المعرفية المعنية ومن أنواع المناهج المعرفية أو الفكرية أو العلمية السائدة نجد المنهج التاريخي (القائم على تتبع الظاهرة أو الموضوع محل الفحص والتساؤل في خلال فترة معينة قد تقصر أو تطول وفقاً لطبيعة الدراسة المعرفية المستهدفة مثل تتبع نشأة وتنامي الاقتصاد الإسلامي كفكر وكعلم وكنظام. وفى تلك الحالة، وعلى عكس اعتقاد الغالبية العظمى من الذين يبدأون دراساتهم في ذلك المجال منذ ظهور الإسلام كديانة ظهرت على يد النبي محمد ﷺ فقط، لكن لابد أولاً من التعرف على جوهر مصطلح الاقتصاد أو هو الندرة النسبية للموارد بالنسبة لتعدد الحاجات) ثم التتبع التاريخي لحقيقة بداية ظهور تكل الندرة، حيث سيفاجأ الكثيرون بأنها حدثت قبل نزول آدم عليه السلام إلى الأرض[1]. وذلك يوضح أن المنهج التاريخي ليس مجرد منهجاً يستخدم لنقل المعلومات والتجارب فقط، لكنه يساعد على الخروج بجديد لم يفطن إليه الغير. ويتم ذلك بشكل أفضل مع دعم ذلك المنهج باستخدام مناهج أخرى من التالى ذكرها وهى: المنهج الاستقرائي (أي الخروج بنتائج لها علاقة مباشرة بما حدث فعلاً)، والمنهج الاستنباطي (أي استنتاج معلومات جديدة بواسطة الباحث استرشاداً بالتجارب الماضية أو بالأعمال المناظرة لآخرين).

ومن المناهج الأخرى نجد كذلك المنهج الوصفي (مجرد وصف للأمور كما هي على سبيل الإيضاح الأفضل وتسليط الأضواء على المبهم منها)، والمنهج القياسي

---

(1) انظر مزيد من التفصيل إلى زينب الأشوح، 2010، ما الذي يجب عليك أن تعرفه عن الاقتصاد الإسلامي باللغتين العربية والإنجليزية معاً

والمنهج الإحصائي والمنهج الرياضي ... (وكلها تقوم على معالجات تحليلية أكثر تعقيداً).

2- الوسائل المعرفية:

وهى التي بواسطتها تتم العملية المعرفية وتكتمل ومنها الوسائل المادية المعتادة، مثل القلم، والكتاب، والورق، والمعامل، وأراضى التجارب ... الخ، والوسائل التحليلية البحثية، مثل المبادئ والقوانين والنظريات، والجداول، والأشكال البيانية، ووسائل التحليل المختلفة كالوسائل الإحصائية (مثل الارتباط المتعدد والانحدار) والبرامج التحليلية (مثل برنامج STP لتحليل السلاسل الزمنية وSPSS لتحليل بيانات مرتبطة بالدراسات الاجتماعية).

3- الأدوات المعرفية:

تقترب كثيراً من مفهوم الوسائل المعرفية لكنها لا تمثل الأصول والقواعد المعرفية التي يتم بناء معارف الباحث عليها (كما هو في الوسائل التعليمية)، إنما هي تمثل أدوات ملموسة تتم الاستعانة بها لاستكمال العمليات المعرفية المستهدفة - مثل أجهزة الحواسب الآلية اللازمة لتطبيق البرامج التحليلية الالكترونية المختارة، والكتب لعرض حصيلة معارف ومؤلفات بعينها، ورسائل الماجستير والدكتوراه للحصول على درجات علمية تؤهل أصحابها للتمتع بالقبول اللازم من قبل الأوساط العلمية والمعرفية المتخصصة.

وقد يفيد في التمييز بين الوسائل المعرفية، وبين الأدوات المعرفية، أن نشير إلى أن (الوسائل) عادة ما تمثل الأعمال المعرفية التي يستعين بها الباحث المعرفي للوصول إلى هدف ما يتمثل غالباً في الحصول على قبول علما أو معرفي متخصص من قبل المحكمين المتخصصين أو القراء الساعين إلى الانتفاع بما يقدم لهم من تلك الجرعات المعرفية (فأصل تلك الكلمة هي «التوسل» والتي تعنى اتخاذ الوسيلة، التي تعنى

بدورها فعل ذلك كنوع من التقرب للجهة المستهدفة، كالتوسل إلى الله بمعنى التقرب إليه بعمل يمكن أن يرضى الله عنه). أما «الأدوات» فهي الشكل النهائي الذي تتم به ومن خلاله عملية تحقيق الهدف وهو هنا الاستحواذ على رضا وإقرار ذوى الشأن بما يقدم من عمل متكامل.

وقبل الانتقال إلى المحطة الإرشادية الأخيرة على طريق المنهج الفكري والبحثي والعلمي ذي التأصيل الإسلامي، نفضل أولاً أن نلملم ما سبق تناوله من نقاط رئيسية لضمان المتابعة الصحيحة لمحتويات الكتاب بتسلسله المنطقي ..

ففي الفصل الأول تم استعراض بعض الأنماط الفكرية السائدة وتم ترجيحها بالمنظور الإسلامي مع تقديم صورة تطبيقية مبسطة توضح لنا الأنماط الفكرية التي كان قدامى أئمتنا المسلمون يتسمون بها، خاصة أبو حنيفة والإمام مالك والشافعي وابن حنبل وابن حزم.

وفى الفصل الثاني، تم الانتقال إلى تقديم مجموعة نظرية من الإرشادات والتوجيهات حول أطر المنهجية البحثية المعرفية للعلوم ذات التأصيل الإسلامي وحول المصادر التقليدية وغير التقليدية التي يمكن الاستعانة بها لاكتساب أفضل المعارف وأكثرها فائدة في توليد الأفكار الفاعلة.

وها نحن على مشارف الفصل الثالث فلنذهب معاً لنتعرف على خباياه.

الفصل الثالث

مفاتيح .. معايير
على طريق
المنهج الفكري الصحيح

الفصل الثالث

مفاتيح .. معايير
على طريق المنهج الفكري الصحيح

مقدمة:

بالرجوع إلى الكتابات المعاصرة التي تتناول قياس درجة الذكاء عند الإنسان، وجد أن أحد تلك المقاييس تتمثل في كيفية التكيف والتوافق الصحي والتعايش الرشيد مع المواقف How to Cope With The Situations. وما من شك في أن أهم ما يساعد الإنسان على تحقيق ذلك الهدف المعياري، هو كيفية التفكير الصائب والتعلم الصحيح للأشياء، وتقييم الشواهد والأمور بشكل صائب ورشيد.

ومن أجل التوصل إلى ذلك السلوك العقلاني الرشيد، يمكن أن تستخدم باقتين من العوامل المساعدة. تتمثل إحداها في مفاتيح الولوج إلى دنيا الرشد ونموذجية التفكير، وتتمثل الأخرى في معايير محددة الألفاظ والمكونات والتوجيهات بحيث تكون بمثابة أضواء إرشادية كافية لحماية الإنسان من أن يضل في رحلته المنشودة حول الفكر والمعرفة .. والتعليم والتعلم .. والحكم والتقييم .. والتفعيل والتنفيذ .....

فهيا بنا في رحلة سريعة لنتعرف معاً على بعض الأمثلة الهامة الموضحة لهذه، ولتلك ...

بعض المفاتيح الجوهرية للتفكر وللتحليل وللتعليم الرشيد :

كم منا من لم يقل يوماً، أو من لم يسمع يوماً عبارة (هذا ليس موضوعنا) أو (ادخل في الموضوع مباشرة) أو (هذا خارج التخصص) ...

مثل تلك العبارة وما يتشابه معها يمكن أن يدل على حقيقة بالغة الأهمية، وهى أن لكل مجال أو علم أو حديث ... مفتاح لفظي أو تعبيري أو معرفي يمكن لمستخدمه التحدث باسمه أو البحث الموجَّه خاصة في مجاله .. فعلى سبيل المثال نجد أن مفتاح علم (الاقتصاد) الجوهري هو (الندرة) Scarcity .. وممكن استخدام مفاتيح فرعية مدعمة لآلية استخدامه بشكل صحيح للكشف عن الحجب الساترة لما يتضمنه ذلك العلم أو المصطلح مثل (ندرة الموارد والإمكانيات المتاحة بالنسبة لتعدد الحاجات إليها) و (المفاضلة والاختيار) كوسيلة توافقية لحل مواطن الخلل بين المتاح والحاجات. وفى علم (الصيدليات) يمكن أن يكون المفتاح الجوهري للتعرف على المزيد عنه بصفته هو (المادة الفعالة) وذلك مع استخدام مفاتيح فكرية مساعدة مثل (الأدوية الوقائية) و (الأدوية العلاجية) و (الأعشاب الطبية) و (الطب النبوي) .... الخ.

ونتيجة لأن مداخل كل علم متخصص كثيرة ومتشعبة، ولأن دهاليزه ذاخرة ببوابات أخرى فرعية، فإن مفاتيح الولوج والتوغل داخل التشعبات العلمية المتخصصة يمكن أن تكون كثيرة ومتنوعة ولابد أن تتاح لكل باحث متخصص بالإضافة إلى المفتاح الأصلي الرئيسي حتى يتمكن من اكتساب المزيد من المعارف المنشودة.

وكذلك الحال لكل راغب في اقتحام دنيا الفكر والتحليل والمعارف الجادة المتميزة، فلكي يتمكن من تحقيق ذلك الهدف العام، ومن التوغل الفاعل داخل الدهاليز المتشعبة لتلك الحياة المعرفية الفكرية الراقية، لابد للباحث عن التميز من

امتلاك مفاتيح مناسبة تمكنه من المضي قدماً خطوة، تلو الأخرى، حيث يقصد بتلك المفاتيح مجموعة الاصطلاحات والمفاهيم المتخصصة بالإضافة إلى الخطوات الأساسية التي ينصح باتخاذها والأساليب الواجب الاستعانة بها من أجل تحسين قدرات المرء على التفكير والتحليل واستجلاب أكبر قدر من المعارف المفيدة وذلك على نحو ما يتضح في الصفحات التالية:

1-3 مفاتيح الفكر والعلم والسلوك الرشيد:

بكلمات قليلة محددة: نود أن نؤكد على الأهمية الكبرى للتعرف على مفاتيح الفكر والمعرفة وعلى كيفية الاستفادة منها وذلك لكل ساع إلى تنمية قدراته الفكرية والتحليلية والإدراكية أملاً في جني ثمار معرفية وعلمية مقبولة ومتميزة بحيث تحث الآخرين على المضي على نفس الدرب وتصنيف إلى العقول البشرية وإلى العمليات الإعمارية ما لم يتكرر من قبل.

(1) ماذا يقصد بالمفاتيح؟

المفاتيح في مجال الفكر وغيره، هي أدوات جوهرية تستخدم لفتح المغاليق .. وهى أدوات لكسر حواجز الجهل بالشيء والتمكن من التعرف عليه، وهى أدوات هامة للتوصل إلى قلوب الآخرين وعقولهم، وهى أدوات النصر والظفر والهيمنة. وبلغتنا ومفاهيمنا الدارجة، فإن المفاتيح تمثل النقاط المحورية التي يتم بها أمر ما أو يرتكز عليها أو يفسر من خلالها.

ولأهمية ذلك الاصطلاح نجده يتردد كثيراً في كلام الله عز وجل، فكلمة (الفتاح) هي اسم من أسماء الله الحسنى أو هي صفة من صفاته المقدسة، والله وحده هو الذي يملك مفاتيح كل شيء ولذلك فهو يعلم كل شيء ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: 59].

(2) بعض المفاتيح الروحانية في دنيا الفكر والعلم والسلوك الرشيد:

من أجل نمذجة المنهج الفكري المعرفي السلوكي الذي ننشد إتباعه، هناك خطوات روحانية وأخلاقية عامة يجب إتباعها ما أمكن وهى:

1- إذا ما رغبنا في اكتساب وإنتاج معارف ومهارات صحيحة ومتميزة ومباركة، فلنردد دائماً أسماء الله الحسنى المرتبطة بتلك المنشودات وأهمها - في ذلك المقام - (الفتاح، العليم، الحكيم، الخبير) وندعو الله أن يجعل لنا نصيباً من تلك الصفات المثلى.

ومن المدهش أن نلاحظ أن هناك أربعة أسماء لله تعالى دائماً ما تتردد معاً على ألسنة كثير من المؤمنين بل والبسطاء على حد سواء، استجلاباً واسترزاقاً للعمل النافع المتميز الواضح خاصة مع بداية كل صباح وهى (يا فتاح، يا عليم، يا رزاق، يا كريم) ...

2- الأدعية المتوافقة مع الأهداف المعرفية المنشودة ومن ذلك:

أ- لإنجاز نشاط معرفي علمي متميز عن غيره، تستريح له النفس المتطلعة إلى دنيا الكمال والتفوق التنافسي الشريف على الآخرين واستمداد العون المعرفي من جنود الله: ترديد الآيات ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح: 1-4].

ب- للاستنصار وللاستشهاد بالله تعالى في مواقف الجدالات والنقاشات متعارضة الآراء والمذاهب والتوجهات خاصة المحتدم منها يقال ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف: 89].

ج- للتوصل إلى حل مقبول وصحيح لمسألة علمية أو فكرية معقدة خاصة فيما يتعلق بالمسائل الاجتهادية للمستجدات الفكرية مثل مسائل المعاملات المصرفية، والتأمين، وزراعة الأعضاء، وأطفال الأنابيب، واستخدام مواد محرمة كالكحوليات ودهون الخنازير في العقاقير الدوائية ... الخ، نظل نردد ما فتح الله به على نبيه سليمان عليه السلام ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ [الأنبياء: 79].

د- دعاء شرح الصدر وتفتيح (المخ) وتيسير عملية البحث المنشودة والإلهام اللفظي الصحيح ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه: 25-28].

ويمكن أيضاً الاستفادة بالآيات التالية لما سبق للاستعانة بأن يمدنا الله بأشخاص لكي يعينونا على إكمال المسيرة المعرفية ويكملون مواطن القصور في إمكانياتنا وخبراتنا ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾ [طه: 29-32].

ويمكن الاستزادة بأدعية كثيرة في هذا الشأن بالاستعانة بكتب الأذكار والأدعية الموثقة أو باستلهام الدعاء المناسب من أسماء الله الحسنى أو من الآيات الكريمة أو من المأثور من الأدعية الموجزة المنجزة أو حتى بكلمات بسيطة تنطلق من قلب مؤمن صادق في إيمانه وفى توكله الفعلي على ربه وفى حاجة الملحة ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: 62].

وبالإضافة إلى تلك المفاتيح روحانية الطبيعة وعظيمة المنافع، فهناك مجموعة أخرى من الإرشادات التي تمثل في مجموعها مفاتيح متكاملة لفتح مغاليق العلوم والأفكار والمعارف ولتيسير وترشيد عمليات استثمارها ويمكن التعرف عليها من خلال الصفحات التالية.

(3) بعض المفاتيح المنطقية والإضافية لترشيد عمليات الفكر والبحث والتعليم:

1- تحديد المصطلحات والمفاهيم بدقة كأصول وليس كمشتقات:

لأن أصولها كلها ترجع إلى العلم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 21] الإلهي.

2- شرح وتوضيح المعنى الدقيق لكل مصطلح ومفهوم ومسمى وظاهرة:

فقد كانت عملية الشرح والتوضيح والتبيان هي التالية مباشرة لخلق الإنسان مما يوحى بأن الفهم ملاصق لديمومة البشرية وعيشها بالنمط الفطري السليم ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن: 3-4].

3- القراءة والاستقراء بكل الجوارح بدءا باستخدام اللسان وبعبارة الإقرار بأن كل شيء من الله واستجلاب دعم الله الرازق لمن يريد بنعمة العلم وغيره:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ [العلق: 1].

دقة التلفظ بكل ما يقال ويعلن على الآخرين لأنه حتماً سيثمر عن تأثير ما في نفس المتلقى ويمكن - في غالب الأمر - أن يؤثر على أفكار ومعارف وسلوكيات الآخرين ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: 18].

4- تدوين كل شيء باستخدام وسائل التدوين المناسبة وعلى رأسها القلم:

فذلك يحفظ الأفكار ويحميها من النسيان أو الاندثار، ويتيح لقرائها من مدونوها أو غيرهم لفرصة التبصر بالصورة الفكرية أو المعرفية المدونة بشكل واضح وغير متحيز، وموثق لا يقبل التشكك أو الجدل في مضامينها، ويحفظ أيضاً حقوق كاتبها ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [القلم: 1] ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ [العلق: 4].

5- استخدام مدونة أو ما في حكمها مثل الكتاب الورقي أو الالكتروني في حفظ المعارف والبيانات والمعلومات ولأغراض أخرى مثل العرض على المهتمين بالأمر وتناقل المضامين ومنح فرص الانتقادات الايجابية التوجيهية:

أ- ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النبأ: 29].

ب- ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: 14].

ج- المكتوب يستخدم كحجة ومرجعية موثقة لفكر المدون له ﴿ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الصافات: 157].

6- استخدام لغة الكتابة (الحركية) ذات الحروف والمضامين الحيوية، التي تثير وتستثير أكبر عدد من حواس الإنسان ومواضع الإحساس فيه كما تساعد على إبراز ملكاته الكامنة وإيقاظها وأفضل ما يبدأ بالاهتمام به هو استخدام اللغة المنطوقة المسموعة، برغم استكانة حروفها على الأسطح المدونة عليه مما يوحى في البداية بأنها حروف مقروءة فقط:

أ- الحروف المنطوقة: ﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجاثية: 29].

ومن صفات المكتوبات (منطوقة الخصائص والسمات) أنها تكون دامغة، صادقة يصعب التلاعب بها أو التشكيك فيها أو تحويلها أو تبديلها أو إحلال بعض المكتوبات الأخرى محلها كلها أو بعضها.

ب- الحروف المسموعة: ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف: 30].

ومن خصائص المسموع من الكتابات: الإرشاد والتوجيه المتقن، الواضح، والسلس، الذي يقنع القارئ له، فيجد نفسه مستجيباً لما فيه ومتبعاً له.

وبطبيعة الحال، فليس كل منطوق ومسموع مؤثر من الكتابات بمقبول الضرورة، فعلى هذا النمط أفلحت كتابات ماركس والشيوعيين فأثمرت عن مفكرين يساريين يستهينون بالأديان ويعتبرونها مجرد عادات شعبية و«أفيون الشعوب» الذي يعتبر من وجهة نظرهم غير صالح للأخذ به في الدين والحياة.

7- استخدام الحواس، والعقل، والتبصر التحليلي، وكل الملكات الشخصية المتاحة للإنسان والمتمثلة في مهارات وخبرات يتميز بها بشكل مطلق أو نسبى والنهى عن إهدار أي من ذلك وأيضا النهى عن سوء استخدامها وإلا سيعاقب الفاعل ومن أهم وسائل العقاب حرمانه مما يهمله !

أ - ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: 36].

ب- عقوبة المهمل للاستخدام الفاعل والرشيد لما منحه الله من وسائل وملكات تفكر وتعقل وتعلم، مما يميزه على غيره من المخلوقات، هو حرمانه منافعها وفعالياتها الحقيقية والكامنة والإبقاء فقط على شكلها العضوي الظاهري مما يحولهم إلى شخصيات بلهاء ذات صفات غير بشرية ولا سوية؛ تتدنى بمراتبهم حتى الدنيوية منها. ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: 179].

8- من معايير الكتاب الفكري- العلمي الجيد:

أ - اقتران كل معلومة معروضة بالدليل الموثق والمؤكد لصحتها ولمصدرها: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ [البينة: 2-4].

وبناء عليه، فذلك يمثل شرطاً غير كافياً وضامناً لإقناع القارئ بما يتضمنه من صحيح البيانات والمعلومات فالكتاب في حد ذاته سيظل مقوماً بصحته وبرقى متضمناته، أما عن عدم تأثيره في كل قارئ فيمكن حدوثه لأسباب تعيب القارئ وليس المقروء، كأن يكون القارئ وليس المقروء، كأن يكون القارئ مسيئاً لاستخدام حواسه ومداركه فيحرمه الله من الانتفاع بأصول منافعها (كما بينا في رقم 7)، أو يكون القارئ متبعاً لمذهب أو توجه معارض.

ب- أن تفيد متضمناته على مستوى التوجه الشخصي والتطبيق العملي: كأن يفيد في تصحيح معلومات القارئ، أو في تعرفه على المجهول المهمل، أو في إرشاده إلى تقييم ذاته وتقييم الآخرين بشكل منطقي مقبول أو في فهم ما كان يلتبث عليه من سلوكيات الغير أو في إرشاده إلى السلوك المعيشي النموذجي في مجال الاستهلاك والإنتاج والعمل والتعامل مع الآخرين ..... الخ.

وكل هذا يرتبط كما ذكرنا في رقم (3) بضرورة استخدام الحروف والكلمات الحيوية المقروءة (بالبصر والتبصر)، والمنطوقة (بالإقرار وصيحات الإعجاب والتأثير مثلما قال أرشميدس «وجدتها») والمسموعة (بالامتثال والتنفيذ والاستفادة الفعلية والفاعلية) والعقلانية (التي تضمن القبول العقلاني والمنطقي لها وعدم نسيانها أو انزلاقها إلى طيات عالم النسيان مع أول معلومات أو كتابات أخرى تالية، أو مع أول أحداث وظواهر أو مشاغل مستحدثة.

ج- التدوين بالقلم أو ما يقوم محله بما يسمح بقراءة مكوناته للمبصر والكفيف: باستخدام طريقة برايل كبديل للقلم ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [القلم: 1]، ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ [العلق: 3-4].

9- من ضوابط العمل الفكري المقبول والنواهي الواجب تجنبها:

أ- اقترانه بالنية أنه لوجه الله وليس لمجرد مطلب دنيوي بحت: عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمري ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

ب- الإقرار بأن كل ما يتعلمه المرء وما يتميز به من خبرات ومهارات وانجازات فهي أصلاً من عند الله سبحانه وبتوجيهه وبتعليمه، وأنها جزء من الرزق الذي يمنحه لكل البشر حتى الكافرين والعاصين منهم وأن أي متميز معرض لسحب ما يتميز به وحرمانه منه على سبيل الابتلاء أو العقاب أو لأي سبب آخر يقترن بحكمة الله وبمشيئة وحده.

- ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: 5].
- كلما علمنا شيئاً لابد من الإقرار بذلك صراحة ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾ [يوسف: 37]، ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦ ﴾ [النمل: 16].
- وكذلك الفهم الصحيح والإدراك الرشيد للأمور وللحلول والمعالجات هو أيضاً من عند الله ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: 78-79].
- مهما ازداد علم الإنسان ومهما بلغ علم البشر، فهو مازال قليلاً وقاصراً،

---

(1) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

ولكل حدود فيما يرزقه الله من علم ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم: 30]، ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 85].

- وللاستزادة من العلم كرزق إلهي مؤكد ندعو بما ورد في الآية ﴿ .... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 114].

- والحكمة ضرورية كرزق مقترن بالعلم وبالسلوك وبالتقسيم الرشيد للأمور وهى من وسائل الذكاء والفطنة ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: 269].

ج- التجنب التام ولو حتى بالتفكير الداخلي الشخصي بأن ما بلغه الإنسان من علم أو تميز مهني هو من قدرته وجهده البشرى وإلا سيعرض كل ذلك للضياع من مالكها الحقيقي الله سبحانه وتعالى ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص: 78] ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: 81].

د- عدم تزكية أحد والنظر إليه كعالم أوحد يعلم كل شيء أو أنه مثالي وقدوة لأنه عالم في الظاهر أو يتميز ببعض مما رزقه الله من علم غير تقليدي.

- ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: 32].

- لكن ذلك لا يمنع من أن يكون هدفنا هو السمو والارتفاع ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ [الشمس: 9].

- عدم وضع أولوية أو أفضلية لعلم أحد على أحد لأن كل عالم في موضع أو في مجال، هو جاهل بأمور يعلمها غيره أفضل منه؛ حيث أن العالم الوحيد بكل العلم هو الله سبحانه وتعالى الذي شاء وجود مفاضلة واختلاف وتباين في العلم بين البشر لكي يتذكر الجميع الأصل الفعلي

لكل تلك المصادر العلمية البشرية ﴿..... نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف: 76].

هـ- عدم تمنى الآخرين لنيل منزلة محظوظ بعلمه أو بمنصبه أو بما شابه لأنهم لا يدركون إن كان خيراً أم شراً وهذا عادة ما يحدث من قبل النهمين لمنافع الدنيا الخادعة والتي يدرك العلماء الحقيقيون بمدى تفاهة قيمتها.

- ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ ﴾ [القصص: 79-82].
- ويلاحظ أن كل هذا درس يرتبط بالعلم:

- الذنب الذي اقترفه قارون نتيجة لإرجاع ما يتمتع به لعلمه المتميز الشخصي.
- فطنة العلماء الفعليون لخطأ هذا وعدم انبهارهم بكل ما يتمتع به من مظاهر دينوية.
- انبهار الدنيويين به.
- تخلى المنبهرين عنه وقت افتقاده لمسببات الانبهار (دنيوية الطبع).
- التحول التام لنظر الدنيويين له من الغبطة والحسد والانبهار، إلى العزوف والانصراف عنه مع حمد الله على أنهم ليسوا مثله !!!

تماماً مثل قصة المصريين مع الرئيس السابق حسنى مبارك وقت السلطة وبعد فقدانه لها في فبراير 2010م.

و- في حالة مواجهة البحث عن أمور غير واضحة أو حيرة بين معلومات متناقضة أو ما شابه تلك المواقف.

- الدعاء إلى الله والاستعانة به لتبصيره بالأمر الرشيد مثل ترديد الجزء من الآية الكريمة ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾ [الأنبياء: 79].
- ودعاء موسى ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: 25-28].
- الاستعانة باستشارة آخرين ممن يتميزون بمعرفة ما يجهله أو يحيره، ويفضل من يرتبط بهم بعلاقات ودية، وذلك لدواعي المصداقية والتجاوب ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ [طه: 29-32] ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأنبياء: 7].
- إعطاء أولوية للثوابت من النظريات والقوانين والمعلومات والبيانات وعدم استخدام المفردات محل التشكك إلا في حالات الضرورة الملحة. عن أبى عبدالله بن بشير رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»[1]. وفى حديث آخر «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[2].

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) حسن، رواه الترمذي والنسائي.

- للدعم العلمي وتعظيم ثماره ومخرجاته يجب التشاور وإقامة حلقات نقاشية انتقاديه فعالة حول الأبحاث الجاري إعدادها وتنفيذها خاصة ما يتعلق منها بالمنظور الديني.
- عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى ﷺ، أن النبي ﷺ قال «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1] (رواه مسلم).
- استفتاء القلب والعقل وعلامة القبول للأمر هو عدم وجود أى شعور قلق أو تشكك في المطلق. عن وابصة بن معبد ﷺ قال أن النبي ﷺ قال له «جئت تسألني عن البر والإثم فقال نعم فجمع أنامله فجعل ينكث بهن في صدري ويقول يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك ثلاث مرات البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك».

ز- توثيق كل المعلومات وعرض الآراء بصدق وتدعيم ذلك بالمصادر والأدلة. عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال «لو يعطى الناس بدعواهم لادَّعى رجال أموال قوم ودماءهم، ولكن البينة على من أدعى واليمين على من أنكر»[2].

ح- الاستعانة بالمصحف الشريف كمصدر محوري وأساسي لكل البيانات التي تمثل مسلمات يمكن أن تبنى عليها العلاقات والتحليلات والتي يمكن أن تيسرها.

- ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89]. ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 38].

---

(1) رواه الإمام أحمد (17545).

(2) حديث حسن، رواه البيهقى وغيره هكذا وبعض في الصحيحين.

2-3 مؤشرات، معايير، ودلالات تقييمية وبرهانية:

حين كنت في بريطانيا للدراسة للحصول على درجة الدكتوراه، حدثت لي قصة طريفة حان وقت عرضها في ذلك المقام !!! فقد كنت ارتدى غطاء رأس رأيت أن لونه رمادي فاتح. ولسبب ما أثيرت مناقشة جدالية طريفة بيني وبين مجموعة من صديقاتي متعددات الجنسيات والثقافات والطباع والتوجهات، وفوجئت بتنامي تلك المناقشة الجدالية حول حقيقة لون غطاء رأسي هذا، وأصابتني دهشة شديدة للتباين الكبير في الآراء حول لونه ولعدم وجود إجابتين متوافقتين أبداً، فأنا صممت على أنه رمادي فاتح لأنه يمثل درجة رمادية فاتحة من درجات لون الفستان الذي أرتديته لكن إحدى صديقاتي اعترضت بشدة فأكدت أن لونه أبيض داكن off white، وأخرى قالت بحماس أن لونه الفعلي بيج فاتح وثالثة أكدت على أن لونه عاجي أو كريمي ... وهكذا استمرت الجلسة التي انتهت بتمسك كل برأيه .. على ماذا .. على لون قطعة قماش ظاهرة للجميع بذاتها.

وتحولت مثل تلك المواقف الجدلية التي عاصرتها على طريق حياتي، إلى تباينات شديدة في الآراء حول المعارف والعلوم والنظريات التي يتكثف ظهورها في المحافل العلمية واللجان والمجالس المهنية المتخصصة، وكل يسعى إلى الانتصار لرأيه إما بدافع مصلحة ما أو لتحقيق هدف ما أو نتيجة للتباين في القدرات والمهارات وحقائق التبصر الصحيح بالأمور.

وأصبح من الضروري – إذن– أن تكون هناك مجموعة من الدلالات والمؤشرات والمعايير التي يمكن استخدامها كأدوات تقييميه فاصلة تساعد على تقريب وجهات النظر المتعارضة وعلى التعرف على أقرب الآراء إلى الوضع الصحيح.

ومن الطبيعي، أن الشخص أو الباحث الراغب في نمذجة أفكاره ومعارفه وتصريحاته وتحليلاته وتدنية ما تتضمنها من أخطاء أو انحرافات أو عدم مصداقية

عليه أن يعد لنفسه قائمة من تلك الدلالات (التي تثبت صحة الشيء) والمؤشرات (التي تدل على حقيقة الشيء وتظهر الجانب الصحيح وترشد إليه) والمعايير (التي تمثل أوضاعاً مثالية تقاس عليها الأشياء المناظرة).

وفيما يلي، نعرض قائمة مبسطة تشمل بعض من المؤشرات والمعايير والدلالات التي يجب على كل باحث ومفكر وعالم رشيد أن يستعين بها ويستخدمها لتحسين قدراته وملكاته ولتقوية الحجج والعلل التي يدلل بها على صحة ما يقوله مقارنة بآراء المناظرين له. وذلك أملاً في تقديم مثال فكرى نموذجي أساسي يصلح كلبنة أولية يمكن للغير أن يضيف إليها لبنات أخرى تصلح في إجمالها لبناء هيكل فكرى معياري نموذجي ومتكامل.

(1) المؤشرات Indicators:

إنها تمثل العلامات signs التي تشير إلى صفة أو حقيقة ما، وقد تمثل أعراضاً symptoms توضح بشكل مباشر أو غير مباشر حقيقة ظاهرة ما أو مفهوم ما أو علاقة ما ..... إلخ. ومن أبرز الأمثلة العامة التي يمكن البدء بذكرها كتمهيد لعرض المؤشرات الأكثر ارتباطاً بمجال الفكر والبحث والتحليل المعرفي، يمكن ذكرا أن الحجاب مؤشر على أن من ترتديه مسلمة لكنه لا يعتبر في نفس الوقت مؤشر على ديانة أو عقيدة من يقوم بتصنيعه أو ببيعه لأن ارتداءه يرتبط مباشرة بتطبيق حكم تشريعي إسلامي، أما من يقوم ببيعه أو بتصنيعه فقد يفعل ذلك لمصالح أو لأهداف تكسبيه ومعيشية دنيوية بحتة لا يشترط معها اعتناق ديانة ما أو تطبيق حكم شرعي ما. وكذلك الحال في فنانة تمثل شخصية إسلامية فارتدائها للحجاب لا يعتبر مؤشراً مؤكداً على كونها مسلمة .. فهي فقط ممثلة تقوم بأدوار تشخيصية!

وكذلك اللغة التي يتحدث بها شخص ما أو اللكنة التي تميز حديثه يمكن أن تكون مؤشراً على جنسيته، ووجود تجاعيد كثيرة على الوجه هي في الغالب الأعم

مؤشراً على تقدم السن .. وطبعاً هناك مؤشرات بيولوجية أساسية تستخدم كمؤشرات على نوع الشخص إن كان ذكراً أو أنثى - فالشارب واللحية مثلاً مؤشرات على الذكورة، ونعومة الصوت مؤشر على الأنوثة ... الخ.

وعلى ذلك النحو يمكن أن نعرض بعض الأمثلة على المؤشرات المرتبطة بالمجال البحثي والمعرفي والفكري والتحليلي، والتي يفيد عرضها في التعرف على كثير من الحالات والظواهر ذات الصلة واستقراء متضمناتها على الأقل بشكل مبدئي أو تمهيدي لتأكيدات يمكن أن تحدث بمؤشرات أخرى وبأدلة وبمعايير مساعدة.

أ- مؤشرات ترتبط بخصائص الشخصية الباحثة أو المفكرة، وبطبيعة العملية المعرفية:

- حب القراءة خاصة منذ الصغر وقبول ما يقرأ للآخرين كما هو يدل أو يعتبر مؤشراً على أن من يفعل ذلك هو شخصية (ناقلة) لكن غير مفكرة، لأن التفكير يعنى التعمق فيما تتم قراءته بعين ثاقبة متفحصة متجولة ما بين النقاط والعلامات والأحرف والسطور والصفحات وبعقل انتقادي تصنيفي انتقائي وبقلم مدون دائماً لملاحظات ولانتقادات ولبدائل أفضل للجوانب السلبية أو غير المقبولة فيما تتم قراءته.
- حب الكتابة بدون الرجوع إلى مصادر أخرى مساعدة يعتبر مؤشراً على مهارات تأليفية لكنها غالباً ما تكون كتابات جوفاء أو سطحية لا جذور معرفية أصيلة لها.
- حب القراءة والكتابة معاً بحيث ينجم عن هذا إضافات فعلية ومتميزة ونافعة وجديدة عما وجد في الكتابات المماثلة السابقة، هذا يكون مؤشرٌ على شخصية مفكرة ومبدعة غالباً.
- خلو العمل الفكري التام من كلمة الله وما يرتبط بها مثل بمشيئة الله، أو بعون

الله، أو من فضل الله، أو من علم الله ... الخ، هذا مؤشرٌ على مفكر علماني أو من أولئك الذين ينادون بفصل الدين عن العلم أو من أولئك الأنويين الذين يعتقدون بأن العقل البشرى هو ... ومن بعده الطوفان!

- إذا كان العمل الفكري علمي الطابع ويرتبط بأمور دنيوية بحتة وتجريبية بحتة مثل العلوم الرياضية والمعملية القياسية، وغلبت على المعروض منه عبارات دينية تعبدية مثل تلك التي أشرنا إليها بعاليه، وكان ذلك على حساب المعروض من الحقائق العلمية التجريبية التخصصية، فهذا مؤشر على أن صاحبه أجوف من الناحية العلمية الفكرية التخصصية وأنه استعراضي، وغالباً ما يستخدم الدين لإظهار تميز شخصي مستغلاً الاحترام والتقدير الغالب لكل ما يرتبط بالنواحي الدينية والأخلاقية.

- أما إذا كان العمل الفكري قد استوفى تماماً كل النواحي العلمية والفكرية والمعرفية التي تغطى الأهداف المذكورة مقدماً، وكل الوسائل العلمية التحليلية المنهجية المتفق عليها في دنيا العلم والفكر والمعرفة، وإذا كان ذلك العمل قد تم تقديمه وعرضه بطريقة جاذبة لأكبر عدد من القراء، وإذا كان قد أثمر عن نتائج ومقترحات تفيد أكبر عدد من شرائح المجتمع البشرى .. ومع كل هذا تم الحرص على تذكير الله بين الحين والحين وتذكير القارئ بأن كل هذا التميز إنما هو بإلهام من الله وبفضل منه سبحانه، وبأن ذلك العلم «لم يؤت من عنده» كما فعل قارون من قبل .. في تلك الحالة فقط لابد أن نرى مؤشراً يتوهج بلآلئ مبهجة تبشر بتمتع صاحب ذلك العمل بالمواصفات العلمية الفكرية الإبداعية المقبولة عند الله وعند البشر والتي يجب أن تصبح قدوة للآخرين كي يسيرون على نهجها.

ب- مؤشرات معرفية علمية متخصصة:

- مؤشرات اقتصادية: مثل مؤشرات التنمية التي تتمثل - على سبيل المثال - في متوسط دخل الفرد وحجم الناتج القومي.
- مؤشرات اجتماعية: مثل مؤشرات الفقر - على سبيل المثال - متوسط نصيب الفرد من المياه الصالحة للشرب.
- مؤشرات صحية: مثل الأعراض المرضية التي تعتبر مؤشرات على أمراض بعينها كصفار العين الذي يعتبر مؤشراً قوياً على الإصابة بمرض المرارة أو الصفراء، ووجود تكتلات متنامية في منطقة ما في الجسم التي تعتبر مؤشرات مبدئية على وجود أورام قد تكون حميدة وقد تكون خبيثة ...
- مؤشرات سلوكية: فإذا لوحظ مثلاً أن شخصًا يحتل منصبًا رفيعًا وأنه يركز اهتماماته على العلاقات العامة أو على إيذاء الجادين الناجحين في أعمالهم من زملائه، فقد يكون ذلك مؤشراً قوياً على ضعف مستواه الفكري والمعرفي والعلمي وعلى انخفاض كفاءاته المهنية الفعلية، فذلك التصور يجعل صاحبه عاجزاً عن إظهار تميز فعلى في المواطن المستهدفة من علم أو إدارة، ويكون الأيسر له في تلك الحالة أن يتم التخلص من المتميز عنه فيظل هو الأكثر تميزاً في الظاهر، كما يستخدم العلاقات العامة والهدايا وما شابهها لكي يعوض بها ما يعانيه من نواحي قصور وكي يصرف انتباه الآخرين عن تلك العيوب ويحول ذلك الانتباه إلى مواطن تميز أخرى لا علاقة لها بالأهداف المعرفية الأصلية.

وتفيد النماذج المعروضة سابقاً للمؤشرات ولبعض أنماطها في توجيه القارئ خاصة ذلك الباحث عن التميز المعرفي والتحليلي إلى أهمية تكوين قائمة من المؤشرات المماثلة التي ترتبط بأي موضوع معرفي ينشد التوغل في أرجائه بشكل

فكرى وعلمي ومنطقي منظم بل حتى في الحياة الدارجة يجب على الإنسان الرشيد أن يحدد ويصيغ لها مجموعات مناسبة من المؤشرات التي تساعده على وضوح الرؤية وتفعيل القرارات والسلوكيات.

(2) المعايير Standards:

تم عرضها بعد المؤشرات لأنها قد تمثل في غالبيتها مؤشرات لكن أكثر دقة وتحديداً لأنها مؤشرات قياسية، أي قابلة للقياس بوحدات القياس الملائمة لطبيعة المرء المستهدف. وهى مثل مكاييل الميزان التي توضع في إحدى كفتى الميزان ثم توضع في الكفة الأخرى الأعمال أو الأشياء المطلوب تقييمها بالتحديد، وإن كانت في نفس الوقت يمكن أن تمثل أوضاعاً مثالية نموذجية تقارن الأوضاع بها، وكلما تماثل الموضوع محل التقييم مع الحالة المعيارية كلما دل ذلك على اقترابه من النموذجية والمثالية والعكس بالعكس صحيح، ومن المصطلحات العامة الشائعة في ذلك الصدد على سبيل المثال أن يقال ذلك الشخص مقاييسه «استاندارد Standard» ويقصد بذلك أنه يتمتع بمقاييس جسدية مثالية صحية ورشيقة ...

وعلى نفس النهج السابق المتعلق بالمؤشرات، نورد بعض الأمثلة على المعايير فيما يلي:

أ- معايير ترتبط بخصائص الشخصية الباحثة أو المفكرة، وبقيمة العملية المعرفية:

- معيار التطابق بين القول والفعل (درجة التفعيل): أي مقدار ما يتم تطبيقه مما يقال، وكلما كان الفكر أو العلم أو النظريات قابلة للتطبيق العلمي، بل وكلما حدث تطبيق عملي ناجح لها، كلما دل ذلك على نجاح الفكر أو نظيره المنشور.

∴ فالتفعيل هو مطابقة الفعل للقول.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف:2-3].

.. ومن ثم فالذي يكتفى بالأقوال دون الأفعال يعتبر ثرثاراً أو خيالياً لا يصلح فكره لدنيا الواقع مثل أفكار الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو وأصحاب نظريات التعاونيات ومثل هؤلاء الذين تمتلئ الأدراج بسجلات براءات اختراعاتهم الورقية النظرية بدون أن نجد لها مردوداً فعلياً على أرض الواقع.

- معيار التطابق والتوافق بين القدرات والإنجازات: **درجة الكفاءة التشغيلية** ومن ذلك ضرورة التوظيف وتحميل المسئوليات وفقاً لما يتميز به كل شخص ويتمتع به من إمكانيات وملكات فعلية لا وفقاً لما يتطلبه العمل الذي قد يتعارض مع تلك الإمكانيات ففي تلك الحالة سيحدث إهدار حقيقي لتلك الكفاءات البشرية نتيجة لسوء استغلالها الأمثل «كل امرئ مهيأ لما خلق له»[1]، «أعملوا فكل ميسرٌ لما خلق له»[2].

- معيار التوافق بين التكليف والطاقة البشرية الفعلية: **درجة الكفاءة الإنتاجية**، فكلما حدث توافق بين الجانبين كلما ارتفعت الإنتاجية - فإذا كان التكليف أقل من الطاقة الفعلية فهو إهدار للطاقة غير المستثمرة وتسريب لمنافع كانت متاحة، وإذا ما كان التكليف أكبر من الطاقة فسوف ينطبق قانون تناقص الغلة بمعنى حدوث تناقص مستمر في الإنتاجية حتى تبلغ صفراً ويمكن أن تصل إلى درجات سلبية تتمثل في إصابة العامل والمكلف فوق طاقته بأمراض أو بعجز كلى أو جزئي أو بإحباط يفقده حماسة

(1) حسن، صحيح الجامع مع الصغير وزيادته، مج 2، 4511، ص830.
(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 1074، ص 243.

الاستمرارية في العطاء ... إلخ. وإن كان ذلك يتضح تفسيره من القانون الاقتصادي (تناقص الغلة) فهو يتضح من قبله في الإرشادات الإلهية التي وردت بالقرآن الكريم ﴿ ....لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق: 7] كما يقول تعالى: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [المؤمنون: 62]، وفى الحديث الشريف الصحيح «عليكم من الأعمال بما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا»[1].

- الرأي العام الإجمالي حول شخص يمكن أن يمثل معياراً على حقيقة صفاته خاصة إن كان رأى الأقربين والجيران وشركاء المهنة الواحدة.
- خطأ الاستخدام المطلق لمعيار الأغلبية عند اتخاذ القرارات الرسمية أو المصيرية لأنها قد تصدر من أغلبية فاسدة ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ ﴾ ص: 82-85).

وفى الحديث الصحيح «طوبى للغرباء، أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[2].

- معيار القبول الجوهري للأعمال الحسنة الدنيوية مثل الصدقات التطوعية هو، الإيمان بالله أولاً والعمل لوجه الله مع هذا .. وليس العمل لأهداف دنيوية مثل الشهرة والظهور بمظهر يحبه الناس أو لتحقيق مصالح شخصية غير مباشرة، وكذلك ترفض أعمال الكفار مهما بدت حسنةً للناس فهي كالسراب عقيمة الجدوى.

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 4085، ص 753.

(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 3921، ص 728.

- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾ النور: 39) وتلك الآية تعطى للمؤمنين معياراً بالغ الأهمية للفئات التي يجب التعامل معها وطلب مساعدتها وعونها عند الحاجة وهى الفئات المؤمنة غير الكافرة ومن ثم فالحصول على قروض ربوية - مثلاً - من جهات هي أصلاً لا تؤمن بالله ولا تقر بأن المال ماله وأن الأرزاق بيده وحده إنما هو سلوك غير رشيد وغير نافع في واقعه. وكذلك يتضح من الحديث النبوي الصحيح الآتي أن أعمال غير المؤمنين أو غير الأبرار ليست فقط عقيمة وعديمة النفع بل إنها يمكن أيضاً أن تضر الغير برغم نفعها الظاهري فتصبح مثل الشوك وليس مثل العنب عظيم المنافع «كما لا يجتنى من الشوك العنب، كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار، وهما طريقان فأيهما أخذتم أدركتم إليه»[1].

- معيار الولاية ومناط المسئولية يرتبط بكل إنسان بحكم ما ولى من مسئولية رعاية فئة ما، ولمن أشد ضروب الخطأ، حصر الولاية والمسئولية في نطاق المناصب القيادية أو الرسمية المتعارف عليها مثل رئاسة الدولة أو رئاسة الجامعة ... الخ ووفقاً لذلك المعيار لابد لكل فرد قبل أن يساءل رئيسه عن أداء مسئولياته تجاهه وتجاه من يعول، فعليه أولاً أن يعد كشف حساب لنفسه عما أنجزه من مقتضيات مسئوليات الولاية التي منحها الله أو فرضها الله تعالى عليه بوجوب رعاية نفسه ومَنْ قَدرَ له أن يتولى رعايتهم.
«كلُّ راعٍ مسئول عن رعيته»[2].

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 4576، ص839.
(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 4526، ص832.

«كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئولٌ عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده وهو مسئولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في مال أبيه وهو مسئولٌ عن رعيته، فكلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته»[1].

- معيار صحة القوانين واللوائح والقرارات والإجراءات وكل الأعمال أن تكون مطابقة للنصوص التشريعية «كلُّ شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل، وإن كان مائة شرط»[2].

- صفات وسلوكيات الرفيق والصديق تدل على طبيعة المرء نفسه، «المرء مع من أحب»[3]. «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنودً مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[4]. وفى رواية أخرى «الأرواح جنودً مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[5].

- طبيعة موضع التعاون بين مجموعات من البشر تدل على طبيعتهم هو فإن تعاونوا على خير ففيهم الخير، وإن تعاونوا على شر فبكل تأكيد، هم من الأشرار ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [المائدة: 2].

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 4569، ص 838.
(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 4530، ص 833.
(3) صحيح، مج 2، 6689، ص 1134.
(4) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 6797 – 2319، ص 1149 – 1150.
(5) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 2768، ص 536.

- (الأسبقية) في الإنجاز يجب أن تكون معياراً لتقييم الأولوية ولتحديد الأولوية في المكافأة وفى العطاء .. وذلك يستلهم من قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة 14-10]. ومعيار الأسبقية يمكن أن يستخدم في التقييم بالدرجات فالأسبق يأخذ درجة أعلى ممن يليه في الإجابة على سؤال ما أو في الانجاز أو نحو ذلك ونسترشد في ذلك بالحديث النبوي الصحيح «مَنْ اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قرَّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرَّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»[1]. وممكن أن نستلهم من الحديث أيضاً متى يكون المرء ناجحاً؟ .. بطبيعة الحال إن أنجز عمله وفقاً للمطلوب وفى إطار الوقت المفروض .. أما إذا لم يتحقق هذا ولا ذاك أو لم يتحقق الشرط الأول بصحيحه حتى إن تم إنجازه في الوقت المطلوب (كأن يذهب المصلى في الفترة المسموح به ويؤدى صلاته بدون التوضؤ مثلاً أو بعدم الامتثال للإمام ....) فهنا يرسب المرء وتجب عليه الإعادة أو تصحيح الأوضاع ..كلٌ بما يجب فعله وتقضى شروطه.

- الإدانة بالأغلبية لشخص، ما ليست بالضرورة دليل على صحيح الحكم: وشاهدنا في ذلك ما حدث مع السيدة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك المعروفة، وكذلك قصة عثمان بن عفان رضي الله عنه (أحد العشرة المبشرين بالجنة)

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 6063 – 2004، ص1047.

الذي تجمع عليه القوم ليقتلوه بغياً وعدواناً وكان يوم قتله صائماً فرفض هؤلاء المتوحشون إمداده بالماء الذي طلبه ليروى ظمأه وقد ورد (في كتاب السنة رقم 1302، 2/ 593، تحقيق الألباني) أن عثمان قال في لحظاته الأخيرة لزوجته السيدة نائلة بنت الفرافصة «.... فقال: إن رسول الله ﷺ أطلَّع عليَّ من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال: اشرب يا عثمان، فشربت حتى رويت، ثم قال ازدد فشربت حتى تملأت، فقال: إن القوم سيكثرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وإن تركتهم أفطرت عندنا. قالت: فدخلوا عليه من يومه فقتلوه» !!

ومن المعيار الأخير نلاحظ أنه يمكن أن ينظر إليه أيضاً كدليل ولقد لوحظ أن كثيراً مما سبق عرضه يمكن أن يصلح كمؤشر وكمعيار وكدليل ... فالعبرة هنا ليست بالتصنيف التحكمى هذا، ولكن الأهم من التركيز على تصنيف المفهوم والهوية، هو أن ندرك أهمية تلك النماذج وان نحسن استخدامها وتطبيقها من أجل تحسين مداركنا الفكرية والتحليلية والتقييمية والمعرفية والإنجازية، وكل ما ننشده من قرائنا الأعزاء هو أن ينهض كل منكم ليبدأ في عمل دليل شخصي يتضمن المزيد من النماذج المماثلة لتكون لآلئ وأنواراً مرشدة له في طريق الحياة المعيشية الصحيح ... ولعلنا بعد فترة من الزمن نلتقي على أبواب مدرسة فكرية سامية واحدة هي مدرسة المعايير النموذجية المرشدة ولعلنا نتمكن من تقديم موسوعة أكبر حجماً وأكثر تنوعاً وشمولية بحيث تشمل مجهوداتنا الصادقة معاً في تلك الموسوعة الطموحة.

لكن انتظروا .. أنا لم أختم حديثي بعد، سامحوني، فكرم الله في رزقه لي بالعلم الواسع ولا ينتهي، وأنا أجاهد نفسي من أجل التوقف تجنباً لإصابة قرائى بالإجهاد وبالملل وتخوفاً من أن ينصرفوا عنى، وأن يكون المعروض قد فاق حدود الطاقة الاستيعابية للتعرف على المزيد .. فسامحوني .. سأحاول ختم كتابي هذا بعد سطور

أو صويحفات قلائل أذكر فيها بعض الأمثلة والنماذج السريعة حول بعض الأدلة والبراهين التي يمكن أن ترشدنا في كيفية التعرف على حقائق الأشخاص والأشياء والظواهر وفى الوقاية من الانزلاق في براثن الخداع الظاهري.

... لكن عذراً، لن أفعل ذلك إلا بعد عرض نماذج سريعة للصنف الثاني من المعايير وهو ذلك الذي يرتبط بالمعارف والعلوم المتخصصة .. فتفضلوا معي لنعرف شيئاً مرشداً حول تلك المعايير.

بـ معايير معرفية علمية متخصصة:

- **ففي مجال الاقتصاد** مثلاً هناك معايير قياسية بالغة التنوع وهى تُستخدم عادةً لقياس المتغيرات التابعة والمستقلة والعوامل المؤثرة في ظواهر هي أيضاً يجب قياسها ... الخ. ومن الأمثلة على تلك المعايير:
  استخدام الواردات والصادرات المنظورة وغير المنظورة في قياس حالة ميزان المدفوعات، وكذلك يوجد معيار (عدم التأكد) Calculation of Uncertainty وهو يستخدم عادة في حالة التقديرات التي تحسب بطرق مختلفة لذات البيانات، ومن ثم فهو يستخدم من أجل تقدير الخطأ المعياري للفروق المتوقعة أو الفعلية في النتائج وذلك المعيار يستخدم ليس فقط في مجال الاقتصاد الرياضي أو القياسي أو التحليلي لكن يستخدم في كل العلوم التي تجرى تحليلات قياسية مماثلة، وهناك مثلاً معيار (التفضيل النقدي) الذي يقاس بحجم الطلب على السيولة النقدية ... وهكذا.

- **وفى الاقتصاد الإسلامي** تستخدم ذات المعايير الموجودة في إطار الاقتصاد التقليدي بشرى الأساس بشرط ضبطها بالأحكام التشريعية الصحيحة، بالإضافة إلى ذلك يتميز ذلك المجال بوجود معايير أخرى ينفرد بها مثل (المواريث) كمعايير لتناقل الثروة والدخل ممن ماتوا إلى المستحقين في عالم الأحياء، (وزكاة

المال) كمعيار إسلامي مفروض لأغراض متعددة منها تضييق الهوة بين شرائح الشعب المختلفة وسد العجز في بعض بنود الموازنة العامة مثل بند الدفاع القومي.

- **وفى مجال الصحة العامة** خاصة في نطاق التغذية يمكن قياس الحالة الغذائية وتقييمها بمعايير مختلفة ومن المقاييس المستخدمة - كمثال - الوزن بالنسبة للعمر، والوزن بالنسبة للطول، ومن المعايير المستخدمة لتقييم النتائج المقاسة معيار (جوميز) ومعيار (واترلو). وبدون الخوض غير اللازم في مثل تلك الأمور التخصصية يمكن فقط توضيح أن تلك المعايير توضح لنا بصفة عامة وجود ثلاث حالات عن سوء التغذية (بالإضافة إلى الحالة الغذائية الطبيعية الخالية من المشاكل). فهناك سوء **تغذية خفيفة** يمكن تحسينها بتعويض النقص الغذائي الحادث من خلال استخدام مواد غذائية أو أطعمة غنية بعناصر القصور الذي يعانيه المرء، وسوء **تغذية متوسطة** وهى تستلزم الذهاب إلى طبيب أخصائي لإضافة بعض المكملات الغذائية الدوائية إلى الأغذية الطبيعية المطلوبة، أما الحالة الثالثة فتمثل أخطر المراحل وهى **سوء التغذية الحاد** وذلك Severe وفى تلك الحالة لابد من نقل المصاب الفوري إلى مستشفى تخصصي والحصول على نظام علاجي مكثف لاحتمالات استفحال تلك الحالة إلى حالات مرضية أخرى وأكثر خطورة يمكن أن تتسبب في موت صاحبها.

وكما ذكرنا من قبل فتلك فقط مجرد نماذج مرشدة للمتخصصين الأكاديميين أو الباحثين عن المعارف المتخصصة ليتعلموا معاً كيف يستطيعون استنباط المعايير التخصصية المختلفة وفى أي مجال يقومون بتطبيقها ولأي هدف يطمحون من خلال ذلك الاستخدام.

ولننتقل معاً إلى الجزء الختامي من ذلك العرض وهو الذي نعرف من خلاله نماذج لبعض الأدلة والبراهين التي يجب تكثيف جهودنا لتحديد مثلها ولتفعيل

استخدامها وتطبيقها في حياتنا الفكرية والمعرفية والتحليلية من أجل النهوض بمستوانا الذهني والإبداعي المطلوب.

(3) الأدلة والبراهين Proofs & Evidences:

أ- أدلة ترتبط بخصائص الشخصية الباحثة أو المفكرة، وبقيمة العملية المعرفية:

- «هذا الشخص منافق. لذا سأكون حذراً في تصديق ما يقدمه أو ينشره من معارف» .. كيف عرفت هذا؟ ولماذا تأخذ منه ذلك الموقف؟ .. لأن حديثه دائماً ما يبنى على أكاذيب وبالتالي فما يقدمه من معلومات يكون دائماً مشكوك في صحتها، ولأنه إذا وعد القارئ بالانتفاع بما يقدمه له أو بغير ذلك فلن يحقق وعده، ولأنه إذا ائتمن على معلومة أخذها من مراجع أخرى فيمكن أن يُنسبها إلى نفسه، بل إنه قد يقدم أصلاً نصوصاً شرعية غير صحيحة لا في مضامينها ولا في توثيقها .. وذلك كله يرجع إلى صفات ثلاث أساسية ثابتة توصمه حتى إن بدا صالحاً أو داعية وقورة المظهر ويظهر ذلك في الحديث الشريف «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى .. وقال: إني مسلم : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»[1].
- «هذا الشخص من المفلسين» !! كيف وهو يمتلك كثيراً من الممتلكات والأموال؟ «إن سلوكياته تدل على أنه سيكون من سكان النار» ... كيف وهو «دائماً ما يعلن أنه مسلم ودائماً ما يؤدى ما عليه من فروض من صلاة وصيام وغيرها؟ .. لأنه **أصبح مفلساً معنوياً** .. فقد ارتكب في حق غيره من

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 3043، ص 584

الذنوب ما يكفى لأن تسحب حسناته وتذهب إلى من يظلمهم، ثم بزيادة قبيح أفعاله فرغ جراب حسناته فأصبحت تحال إليه سيئات غيره إليه» ... ودليلنا هو الحديث النبوي الشريف «أتدرون ما المفلس؟ إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[1].

وإن كان هذا الحديث الشريف دليلاً على صفات المفلس معنوياً أو روحانياً إلا أن ذات الحديث ممكن أن يلهمنا أيضاً بخصائص وسمات (البلطجي) ألا توافقوني قرائي الأعزاء على هذا ؟!

- «هذا الشخص شديد الفقر .. بيته مليء بالحشرات، ومع هذا فهو أسعد الناس» كيف هذا؟ .. لأنه من الصالحين، ولأنه يدرك أن ما يحدث هو ابتلاء وليس عقاب والدليل على صحة ذلك ما ورد بالحديث الشريف «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، لقد كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها فيلبسها، ويبتلى بالقمل حتى يقتله، ولأحدهم كان أشد فرحاً من أحدكم بالعطاء»[2].

- «هاتان دولتان شعوبهما غير مسلمين .. لا مانع من التعامل مع الدولة الأولى وعقد معاهدات اقتصادية وتبادلية معها .. لكن الأخرى علينا التحفظ معها، ومقاطعتها .. وإن لزم الأمر علينا مقاتلتها ...» لماذا هذا السلوك، وذاك ..

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 40687، ص79.

(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 995، ص231.

برغم أن الدولتين تشتركان في عقيدة ودين يختلف عن ديننا الإسلامي الحنيف؟! .. لأن الله عادل ولا يحب الاعتداء إلا على من يعتدي على غيره ويستمر في طغيانه وفى ظلمه .. أما دليلنا فهو قوله الكريم ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة: 8-9].

ويلاحظ أننا حرصنا على تقديم نماذج الأدلة من نصوص من القرآن والسنة لأننا نعتقد أو نؤمن بأنها تمثل المصادر المثلى لاستنباط الأدلة الثابتة ذات الأولوية المطلقة التي يمكن الاستعانة بها للتدليل على صحة أمر ما أو على خطئه خاصة فيما يتعلق بصفات البشر وسلوكياتهم وتوجهاتهم حتى إن كانت مرتبطة بالمجالات الفكرية الإبداعية .. فذلك الإبداع المستهدف يجب ألا يحدث بشكل مطلق لكنه يجب أن يهذب بالضوابط والتوجيهات التشريعية السامية.

وننتقل الآن إلى الجزء الأخير في ذلك الفصل، فلننظر معاً ما يقدم لنا فيه.

ب- دلالات معرفية علمية متخصصة:

بالإضافة إلى استنباط الأدلة المناسبة من القرآن والسنة على نحو ما أوضحنا سابقاً، فقد وجهنا ديننا إلى أن بعض المسائل الدنيوية أو التجريبية البحتة يجب ألا تحمل بنصوص دينية قد لا تكون قد تعرضت لها بشكل مطلق لانفراد تلك المسائل الدنيوية البحتة بمسميات أو بمجالات مستحدثة تركها الله سبحانه للإنسان كي يستخدم عقله وملكاته ويستغل إمكانياته البشرية ويبذل مجهوداً خاص به ويميزه عن غيره فيما يقوم من جهد شخص - ودائماً ما يحضرني في ذلك المقام، مثال نيوتن والتفاحة، فعندما سقطت من الشجرة أمامه بدأ عقله يفكر في كيفية حدوث تلك الظاهرة، وسارع إلى أبحاثه وتجاربه ليخرج للبشرية بقانون علمي اسمه قانون

الجاذبية الأرضية مازال يعمل به حتى الآن .. في الدول الغربية وغيرها من كل بلدان العالم، وتم تخليد اسم ذلك العالم الملحد من خلال عمله الدنيوي الجاد الصحيح. وقد نتصور أنه لو شخص من بلد متخلف سقطت أمامه تفاحه بنفس الطريقة، لسارع وأكلها حتى بدون أن ينظفها، وقد يصادف شخصاً أخر أكثر رقياً نفس الموقف فيلتقط التفاحة ويغسلها قبل التهامها .. وقد يصيب ثالث بعض الحياء والتعفف فيتركها ملقاة على الأرض تلقى مصيرها مع عفن يصيبها أو مع فم آخر يلتهمها .. وقليل ما هم هؤلاء الذين يتناولون الأمور بجدية العلماء ويسعون إلى الأبحاث المعرفية الجادة لاستنباط العلاقات وتفسير الظواهر الطبيعية المحيطة بالبشر.

- ومن المنطلق الأخير يمكن القول بجواز البدء بالتفكر والتدبر وابتداع النظريات والعلوم الأساسية بدون الحاجة الضرورية للرجوع إلى نصوص دينية بعينها، وبإمكانية قبول النتائج حتى دينياً طالما اتضح فيما بعد عدم مخالفتها كلياً أو جزئياً للضوابط التشريعية العامة والخاصة. ودليلنا في صحة ما نقول هو الحديث النبوي الصحيح «أنتم أعلم بأمر دنياكم»[1].
- وماذا عما تعانيه بلدان العالم كله (مع اختلاف أنظمتها ومذاهبها) من أزمات شاملة اقتصادية وسياسية وصحية وأمنية واجتماعية؟ هل ذلك يتطلب كما يرى البعض ابتداع نظام وسط ما بين الرأسمالية والشيوعي وهو ما يسمونه تارة بالطريق الثالث، وأخرى بالطريق الرابع؟، أم كيف سيكون الحال؟ الحل والله واضح ولا أفهم لماذا كل هذا الرفض القاطع لأن يكون هناك بالفعل نظام جديد مختلف عن كل ما سبقه من أنظمة وضعية لم تجر للعالم إلا الفساد والخراب .. إنه نظام يجب أن يرتكز على توجيهات دينية ثابتة ثم تبنى لبناته وطبقاته وبقية أرجائه وفقاً للعلوم الدنيوية بشرط تنقيحها بالضوابط الإسلامية

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 1488، ص 312

الرشيدة. فنحن نكاد نجزم أن ما يعانيه العالم الآن من أزمات أخطبوطية طاحنة إنما ترجع كنتيجة لانتشار الفساد والانحلال وتراجع السلوك الديني الصحيح بين الغالبية من العظمى وسوف يكون الحل إذن في العودة إلى صحيح الدين والعمل الدنيوي المقترن بالضابط الديني ودليلنا في ذلك بالسبب المشار إليه قوله تعالى ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: 41]، كما ورد الحل الذي استنتجناه من التدبر في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: 96].

- وبوجه عام، فعادة ما تقدم الأدلة المنطقية في العلوم خاصة الرياضية في صيغة بما أن ∵.. إذن أو ∴ .
- وعادة ما تتمثل الدلالات أو الأدلة العلمية التخصصية في أعراض أو شواهد أو ملاحظات تدرك بالحواس أو يتم الوقوف عليها من خلال المعامل التجريبية أو حل النماذج الرياضية أو إجراء دراسات ميدانية أو تجميع بيانات كافية وإجراء عمليات تحليلية منهجية مناسبة عليها بحيث تثمر عن معلومات تؤكد صحة الفرضيات أو عدم صحتها .. والدلالات العلمية المتخصصة يفضل أن توضح بقدرها عند تناول دراسات بعينها لأنها لا تقدم بمجرد كلمات بسيطة تحتاج هي ذاتها للتوثيق ولإثبات صحتها إلا إذا كانت هناك نظريات أو قوانين أو مبادئ علمية أو مسلمات متفق عليها فيمكن استخدامها في ذاتها كدلالات لإثبات المتصل بها من مواضيع وأمور.

الفصل الرابع

تنمية الصفات المتالية
للشخصية المعرفية المتميزة
بين أقرانها

الفصل الرابع

تنمية الصفات المثالية
للشخصية المعرفية المتميزة بين أقرانها

مقدمة:

من منا لا يعانى من نواحي قصور وعدم إدراك وسوء فهم لكثير من أمور الحياة وما تكتنفه من معارف وحقائق ومسلمات؟ من منا لم تتحطم كثير من طموحاته على صخرة وقائع الحياة الدنيا المؤلمة الشرسة؟ من منا لم يتعرض لطعنات وركلات غدر من جهلاء العلم وأعداء النجاح والتميز أو من مصاصي أقوات الآخرين وناهبي الحقوق من أصحابها ؟ من منا من لم تداعبه خيالاته آمال وطموحات مبهرة فأفاق على واقع لحدوث خلافها بل ونقيضها؟

وكم منا استطاع التعايش مع كبواته فحولها إلى مسببات فوز بطولات غير متوقعة؛ وكم منا تمكن من النهوض من عثرته وبرغم الاستمرار الظاهري لمآسيه لم يستسلم واستمر قدماً برغم تلاحق العثرات؟ وكم منا وضع لنفسه أهدافاً وحدد لها دوائر منطقية استيعابية لها وطلب المعونة من ربّه ففاز بجائزة الدنيا وحسن الظن بمنح الله له الجائزة الآخرة أيضاً ؟

الواقع، أن الباغي للمعرفة والفكر وللعلم النافعين يجب عليه أن لا يفصل بين ما يحصل عليه من مثل تلك المنافع المعرفية ومثيلاتها، وبين ما يجب عليه أن يفعله من أجل تحسين شخصيته الممثلة لمستودع تلك المعارف المتحصل عليها .. وبكلمات أخرى أكثر إيجازاً ودقة، فإن على المرء الارتقاء بالحالة المعرفية، وبالشخصية المعرفية المرتبطة بها، «فالمعرفة، وشخصية العارف» إنما يمثلان في الواقع وجهان لعملة واحدة هي «الارتقاء».

وفيما سبق كان التركيز الأكبر على جانب الارتقاء بالمعرفة وبمتعلقاتها، إذن يتبقى لنا التعرف على كيفية الارتقاء بشخصية العارف، وذلك ما سوف يتم التعرض إليه في الجزئين التاليين مع عرض بعض النماذج والأمثلة الحية التي تضفى مزيداً من الواقعية والمصداقية على ما قد يبدو خيالياً أو مستحيلاً في نظر بعض البسطاء.

1-4 لآلئ إرشادية لتميز حقيقي في الشخصية:

إنها بالفعل لآلئ تضيء الطريق الإدراكي والمعرفي والسلوكي لأي سائر عليه ويمكن أن تضيفه إلى المرء سمات فريدة ومتميزة تجعل منه قدوة للآخرين. ولقد تم إضاءة شعلتها من نور العلم الإلهي الذي لا يضاهيه شيء وتمت بعد ذلك الاستعانة بتجارب حقيقية تصلح فعلاً كتوجيهات نموذجية مرشدة، فهيا للتمتع بجميل ضوئها.

(1) ليكن المرء «ربانيا»:

أي من أهل العبادة ومن أهل التقوى والصلاح في الأقوال والأفعال والمعلومات، وليكن منهاجه الرئيسي المرشد له في كل شيء هو القرآن الكريم الشامل كل شيء، ولكل عموميات التعليمات التعليمية والتربوية وغيرها، وإن أصبح المرء ربانياً، فذلك يضمن فتح مغاليق إدراكية ومعرفية كثيرة لا تتاح لغيره. وفى ذلك يقول عز

وجل ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: 79]. ويمكن الاستزادة من التعرف على كيفية حدوث ذلك بالعودة إلى الصفحات السابقة ذات الصلة والارتباط المباشر وغير المباشر.

(2) التطبيق الملائم لما تم تعلمه:

ليس من منظور علمي بحث، ولكن أيضاً على الواقع المعيشي للمرء ذاته. فعلى سبيل المثال، توجد في الاقتصاد نظرية الدفعة القوية big push، وهى تتحدث عن كيفية المفاضلة بين المشروعات الاستثمارية أو التنموية حيث يتم ذلك باختيار المشروعات الأكثر تأثراً بغيرها من المشروعات القائمة قبلها أو في مراحل سابقة لها، وفى نفس الوقت الأكثر تأثيراً على غيرها من المشروعات التالية لها أو الممكن إقامتها كنتيجة لنجاح تلك الاستثمارات المختارة. ووفقاً لتلك النظرية فإن تلك الاستثمارات المختارة تتمتع بميزة قوة الدفع الخلفي (أي تشجيع مشروعات سابقة على الإقامة والتنامي، كنتيجة لزيادة طلب المشروعات الدافعة المعنية لمنتجات المشروعات موضع الدفع الخلفي) وكذلك فهي تتمتع بميزة قوة الدفع الأمامي (حيث أن تواجدها يشجع على خلق طلب استثماري من مشروعات وليدة مستحدثة تأتى في مراحل إنتاجية تالية لها).

وعلى المرء أن يكون له ذلك التأثير الايجابي الدافع الشامل على الغير .. على من هم أكبر منه عمراً ويفترض أنهم يتمتعون بخبرات وبمهارات أكثر رسوخاً (وذلك من خلال استفادته بتلك الخبرات واستعانته الصادقة بهم والاقتداء بالصالح منها مما يضمن استمرار عطائهم وعدم التوقف عند الحدود العمرية التقليدية التي تسمى بسن التقاعد مع تعليم هؤلاء الكبار ما يستجد ويستحدث من معلومات ومعارف) كما يجب أن يلعب ذات المرء نفس التأثير الايجابي الدافع الشامل على من هم أصغر منه (بإفادتهم بخبراته وبمهاراته وبتوجهاته) وكذلك عليه أن يلعب ذات الدور مع

قرنائه في العمر ومستويات الكفاءة (بحيث يكون دوره معهم هو دور تكاملي تعويضي لنواحي القصور فيه أو فيهم، وليس تنافسي مدمر لأي مما يتمتع به .. أو يتمتعون به من قدرات أكثر تميزاً).

وقد نعرض أمثلة أخرى على مثل تلك التطبيقات النافعة كلٌ في حينه.

(3) القدوة الصالحة:

وتعتبر تلك النصيحة امتداداً للمثال السابق عرضه تواً، إلا أنها أكثر شمولية واتساعاً في المفردات التي يمكن أن تضمها. وبوجه عام، لا يقصد بالقدوة هنا من تقتصر محاسن صفاته على الدنيويات فقط، ولا من تقتصر محاسن صفاته على الجوانب الدينية فقط - فالإنسان عليه أن يحيا معيشة كريمة تتيح له مناخاً نظيفاً راقياً يصلح لاستزراع ثمار لن تقطف إلا في الآخرة ! وإلا قد يخسر الحالين معاً !

وبناء على الفرضية السابقة المشتقة من التوجه النبوي بأن «المؤمن القوى خيرٌ وأحبُ إلى الله من المؤمن الضعيف» فإن القدوة الصالحة يمكن أن ينشدها الإنسان الرشيد في فئات بشرية متعددة نذكر أمثلة لها على النحو التالي:

أ- رجال الدين والعلماء:

فهم ورثة الأنبياء الذين لم يورثوا درهماً لكنهم ورثوا العلم والمعرفة ومن ثم تزداد احتمالات رشد سلوكياتهم ومصداقية معارفهم لكن طبعاً يستبعد منهم أولئك الدنيويون الذين يسخرون العلم لخدمة مطالب الدنيا فقط مثل السعي إلى الشهرة أو إلى التربح أو إلى مجرد التباهي على الآخرين .. إلخ فأولئك أنذرهم الله بأن مصيرهم سيكون جهنم عياذاً بالله لسوء استغلالهم لأسمى نعمة ملكها الله لهم.

بـ كبار السن:

من أجل الاستفادة التاريخية من تجاربهم ومن خلاصة ما يقدمونه من حكم ومواعظ نهائية الإعداد بعد التخلص مما كان يعلق بها من شوائب التنفيذ العملي والواقع أن ذلك يقلل إلى حد كبير من السلبيات ومواضع الضرر وإهدار الوقت والجهد والمال الذي يمكن أن يحدث في حالة بدء المرء لذات التجارب منذ بدايتها المطلقة بدون الاهتداء بتجارب الأخريين.

جـ الشخصيات الناجحة:

التي أكدت الشواهد من أنها قد تمكنت بالفعل من صنع لبنات نجاحها وتميزها على معبر زمني زاخر بأشواك ومرارات ومشاق حقيقية. ومثل تلك الشخصيات تكون من أفضل الشخصيات الدافعة لذاتها ولغيرها لأنها تمثل صور حية للصمود ولكيفية التعايش الإيجابي والعبقري مع الصعوبات وفى نفس الوقت يتم التوصل إلى تحقيق الأهداف والطموحات بشكل موضوعي وتام.

وفى ذلك المقام تحضرني قصة نموذجية رائعة لأحد أبنائنا الطلاب بكلية التجارة بجامعة الأزهر والذي بدأت معرفتي به وهو في عامه الرابع والأخير بقسم الاقتصاد حيث كنت أقوم بالتدريس لأحد المواد هناك ولكن لطلاب شعبة اللغة الإنجليزية. ومنذ البداية لاحظت أنه دائماً يتطلع للتعامل مع كبار الأساتذة في كليته وفى غيرها، ولم تكن وسيلته في ذلك مجرد مجاملات جوفاء أو عبارات نفاق مقيتة، لكن كان لديه الذكاء الاجتماعي الذي دفعه ليستخدم أفضل وسائل الاتصال معهم وهو (العلم)، وعلى الرغم من ازدحام جدوله الدراسي كان يعد أبحاثاً تتلاءم وإمكانياته لطالب لم يصل بعد إلى مرحلة التخصص التحليلي الصحيح .. وتوالت المفاجآت لأعرف أنه كان الأول أو الثاني على دفعته برغم ما عرفته بعدها أنه أيضاً يعمل بصيدلية ليسدد مصاريف دراسته.

وحتى ذلك الحد، لم أكن لأعرض قصة ذلك الطالب القدوة لولا أنني عرفت بعد ذلك ما يستحق معه لأن يدرج كنموذج قدوة واعدة، يجب أن يعرفها كل شباباً المدللين الذين يبالغون في مطالباتهم الإنفاقية من والديهم حتى ما بعد التخرج، وما بعد الزواج. ففي إحدى المرات نشرت على صفحة الفيس بوك دعوة لكي ننتزع أنفسنا من عالم «الغموض» الافتراضي بحيث يقوم كل مشارك على الصفحة بتعريف هويته وتقديم نبذه عن سيرته الذاتية، وطبعاً بدأت بنفسي وعرضت سيرتي الذاتية التي حباني بها الله متضمنة قوائم مطولة من الانجازات العلمية والمهنية، وتوالت النشرات التعريفية، حتى استوقفني منشور ينبعث منه عبق شموخ ورجولة وتميز بشرى مطلوب من كل شبابنا المسئول عن حمل رايات البناء والعمار لبلادنا. كان ذلك المنشور يخص الطالب المذكور الذي بدأ بمقولة حكيمة وجهها إلى أقرانه من الشباب: «**لا تطلق على نفسك كلمة رجل .. وأنت مازالت تأخذ مصروفك من أبيك**». وفيما يلي بقية التجربة كما ذكرها صاحبها نصاً:

«أنا بدأت العمل في سن **خمس سنوات**، كنت مع أبى أساعده في الزراعة وأيضاً أساعد جيراننا وأصدقائنا وكنت احتفظ بالقروش والجنيهات حتى أشترى كتب المراحل الابتدائية حتى أنهيت الابتدائية **وقام محافظ الدقهلية بتكريمي لأنني كنت الأول على قريتي في حفظ القرآن وحسن الصوت**، بعدها سافرت إلى محافظة دمياط لأتعلم مهنة النجارة واستغرق ذلك ست سنوات وعملت في أكثر من **31 مصنع** في دمياط وكل هذا على مدار فترة دراستي في الإعدادية والثانوية. وبعد أن أنهيت الثانوية العامة سافرت إلى القاهرة للالتحاق بكلية التجارة – جامعة الأزهر.. أثناء دراستي في الترم الأول عملت في إحدى **ورش النجارة** بمدينة نصر. والتحقت في الأجازة بدورة لتحسين اللغة الانجليزية ووجدت أن عملي بمهنة النجارة يتطلب وقتاً وجهداً من شأنه أن يعرقل الاستمرار في تلك الدورة، فبحثت عن عمل آخر لاستكمال نفقاتي المعيشية وعملت في إحدى متاجر السوبر ماركت **كبائع**. وبعد

ثلاثة أشهر، تعرفت على إحدى الأسر وطلبوا منى أن أعمل معهم مع المساهمة في الدعاية للصيدلية، فكنت أعمل كبائع في الصباح وأعمل في **الصيدلية في المساء** مع بذل جهد كبير في الدعاية والترويج للصيدلية. واستمر الحال هكذا لمدة سنتين ثم تفرغت للعمل بالصيدلية طوال اليوم ومازالت أعمل بالصيدلية حتى بعد الانتهاء من دراستي الجامعية من أجل تدبير نفقات الدراسات العليا التي أزمع في استكمال مسيرتى العلمية من خلالها. وأتمنى أن يتم تعييني كمعيد في الكلية حتى أكون خادماً للطلاب في الكلية وأن أكون سبباً في إنعاش الاقتصاد المصري .. أيضاً أتمنى أن أكون خير سفير للأزهر الشريف لأنشر وسطيته وعقلانيته واعتداله في ربوع الأرض. وفى كل سجدة أسجدها أدعو الله سبحانه وتعالى أن أكون سبباً أيضاً في توحيد العالم العربي والعالم الإسلامي لكي تتكون قوة لا يستهان بها ولنتذكر معاً أننا سوف نقف بين أيادى الله سبحانه وتعالى وسوف يحاسبنا على ما قدمنا لديننا الحنيف ولأمتنا الإسلامية».

والواقع أن ذلك الطالب لم يكن يدرس ويعمل فقط لكنه اجتاز أيضاً عدد كبير ومتنوع من الدورات التدريبية الداعمة لمعارفه ولطموحاته ولتحقيق الانتشار الذاتي له بين الأوساط العلمية والعملية ذات المناصب والنفوذ، وذلك **مثل دورات اللغات والحاسب الآلي وإعداد السفير الأزهري** من خلال رابطة خريجي الأزهر، ودورات في **الاقتصاد الإسلامي** بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي.

د- الشخصيات الداعمة بفعالية:

وهى تلك التي حباها الله بقدرات ما أكثر تميزاً من الآخرين، فلم تكتف بالاستغلال التربحى فقط لتلك المواضع من التميز (المهني مثلاً)، لكن مثل تلك الشخصيات الداعمة، تساهم بشكل أو بآخر وبطريقة دافعة إيجابية إما باستكمال نواحي القصور التي يعانى منها المرء أو في دعمه المعنوي والعملي الإيجابي خاصة في بعض حالات اللا توازن النفسي وانخفاض مستويات الكفاءة والأداء.

ومن أبرز الأمثلة المعاصرة على مثل تلك الشخصيات الداعمة يمكن أن نذكر الشاب النابه الذي تولى مهمة نسخ الكتاب الحالي. ففي المرحلة الأولى من نسخ هذا الكتاب طلبت منه تذوق ما يكتب لتدنيه أخطاء الكتابة لكنه لم يفعل لدواعي سرعة الإنجاز فتسبب ذلك في كثرة أخطائه. لكن في مرحلة متقدمة أصبح عمرو أكثر استجابة وتعاوناً فقلت أخطاؤه هو ... وكثرت أخطائي التي اكتشفها من خلال روح المتعاون المشارك في ذلك العمل ... بل إن روح المشاركة والتعاون الفاعل كانت قد تنامت لديه حتى دفعته لتقديم مقترحات بناءه من أجل إنجاز الكتاب الحالي بشكل أفضل، وبالفعل ساعد تنفيذ تلك المقترحات على تحسين الشكل والمضمون المعروض في الكتاب، بل واستحثتني تلك الروح المهنية التعاونية الداعمة بإخلاص على إضافة ذلك الفصل الأخير الذي أزعم بتضمنه لمزيد من المنافع لقرائه.

(4) التحدي الإيجابي بتحويل كل سلبي إلى دافع قوى إيجابي:

من الأدعية المأثورة المتداولة «اللهم أكفني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبعفوك عن غضبك، وأغنني اللهم بفضلك عمن سواك».

ويوجهنا ذلك الدعاء الحكيم، مدعماً بالتعليمات الدينية وبالشواهد الحياتية المتعددة إلى مُسلَّمةٍ لا شك فيها وهى أنه «لكل شيء، بدائل متعارضة» أو «لكل محرم بديل أصلى في الحلال». فالزنا المحرم بديله الأصلي هو الزواج الشرعي، والخمر المحرم هو عصير العنب الطازج، ولحم الخنزير المحرم هو لحوم الأبقار والطيور وما شابههم، والربا المحرم يقابله البيع الذي يحث الإسلام عليه ويشجعه كنشاط تكسبي مربح .....

ومن ذلك الوميض الإرشادي يمكن التعرف على كيفية مواجهة الصعوبات والعراقيل بإعادة معالجتها وتحويلها إلى جانب إيجابي فعال.

ومن الأمثلة العامة على كيفية إحداث تلك التحويلات الدافعة الإيجابية نذكر ما يتعلق منها ببعض المشاعر السلبية في أصلها مثل الحقد والحسد.

فبدلاً من أن يحقد المرء على قرينه الأكثر نجاحاً، فلماذا لا يتخذ من ذلك الناجح قدوة يحتذى بها ويستفيد من تجربتها لتحقيق ذات النجاح بشكل أو بآخر؟. وقد يكون من المفيد للمرء ليس فقط أن يرتقى بمحاكاة محاسنهم، لكن أيضاً باستكمال نواحي النقص والقصور بطلب الدعم التكاملي التعويضي، تماماً مثلما فعل النبي موسى عليه السلام الذي كان يعانى من تعلثم في الحديث فطلب من الله تعالى أن يدعمه شقيقه «هارون» المتميز بفصاحة اللسان في إنجاز مهمة الدعوة الموكلة إليه.

وبدلاً من أن يحسد المرء غيره على نعمة حظي بها غيره دوناً عنه، فعليه أن يتأكد أن «كلً ميسر لما خلق له» وأن ذلك الرزق من التميز يعطى لشخص لأن الله تعالى يعرف أنه ملائم له أو أنه سيكون الأفضل في حسن استغلاله، بينما لم يعط ذات الرزق أو التميز لأخر لأن ذلك الأخر قد يعطل استغلال ما منح من ذلك التميز، أو قد يتسبب ذلك التميز في إفساده ... مثله مثل أي رزق أخر.

وفى ذلك المقام، يجب التأكيد على خطأ مقولة أن هناك مساواة مطلقة في توزيع الأرزاق بين البشر وان لكل إنسان رزق يعادل واحد صحيح. فالآيات القرآنية تشير بوضوح إلى أن اللا مساواة في الرزق هي الأساس وذلك لتحقيق التواصل البشرى من خلال تعدد الحاجات وقصور القدرات الفردية ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ ﴾ [الزخرف: 32]. ومن قصص التحدي الإيجابي الفاعل التي مررت بها، أذكر أن لجنة التحكيم للترقية إلى الأستاذية طلبت منى تقديم بحثين إضافيين مشترطة عدم تقديمهما إلا بعد مرور عام كامل! وكان من الطبيعي أن أصاب بالإحباط في بداية الأمر، لكن بعد نحو أسبوع قررت شحذ

الهمم، وأنجزت ثلاثة أبحاثٍ دفعة واحدة في نحو ثلاثة أشهر فقط، وقضيت بقية العام في ممارسة مهنتي التعليمية التربوية وفى الانتفاع بدروب أخرى مختلفة من المنافع، ومر العام، وتمت الترقية؟؟؟ ومرت بعدها الأعوام بكل أحداثها وتوابعها!!!

ولا أنسى أبداً، أنني عندما سافرت إلى بريطانيا لدراسة الدكتوراه، كنت قد أخذت معي صورة فوتوغرافية لإحدى الشخصيات اللائي كن يتسمن بالشدة في تقييم الأعمال البحثية وكنت أعلق تلك الصورة دائماً على الحائط مقابل مكتبي بالمنزل، وكلما أحسست بتعب أو بضعف طبيعي من مشقة الدراسة أو الغربة كان يكفى أن أصوب نظرة سريعة خاطفة إلى تلك الصورة كي أتراجع سريعاً عن تلك المشاعر السلبية الوقتية وأجدد العزم على المضي قدماً.. حتى لا أعود طالبة محل تقييم مرة أخرى !

(5) التنظيم الجيد للوقت وربطه بمواعيد العبادات الثابتة:

أثناء فترة تواجدي في بريطانيا، كان هناك تساؤلات ملحاً يتردد على ذهني كثيراً «لماذا هم في الغرب متقدمون، ونحن في بلادنا دائماً في تقهقر مستمر»، على الرغم من أن المصريين يتميزون بعملهم الدءوب الأكثر مشقة مقارنة بما يبذله قرناؤهم في الغرب. وكأن ربى الكريم ارتضت مشيئته أن يلهمني بإجابة مختصرة من أرض الواقع، حيث حدث ذلك من تتبع قصة طريفة حدثت أمامي. فقد كان لي زميلٌ ألماني الجنسية موجوداً في ذات مكتب الدراسة وكان يَدرسُ للماجستير. وكانت هناك حربٌ معنويةٌ أو باردةٌ بدأ هو بشنها ضدي كامرأة مسلمة محجبة، وكانت صديقته الألمانية التي تعمل ضمن أعضاء هيئة التدريس بالجامعة تشاركه في كثير من الاستفزازات لكن للطرافة، فيما عدا ذلك كنا جميعاً نتبادل المناقشات العامة والثقافية بشكل راق في مناخ عقلانى يختلف تماماً عما يحدث في بعض المعاملات اللاعقلانية واللامبررة في بلادنا ونصحني زملائي المصريين الموجودين معنا بالكلية

بتجنب التعامل معهما. ولكنى لم أشأ وقتها أن أنسحب وأنا بديني راسخة على طريق الحق، لكنني استعنتُ بصديقة لبنانية مسلمة لكي تدعمني معنوياً في أوقات الذروة الاستفزازية المحتدمة من قبلهم. وذات مرة جاءتني صديقتي «ريم» اللبنانية لزيارتي في مكتبي وكان «كلاوس» زميلي الألماني موجوداً فقمنا أنا وصديقتي بتبادل الحديث باللغة الفرنسية حتى لا يفهم «كلاوس» حديثنا. وبعد انصرافها علق بعبارة غامضة على ذلك. ولم يمض شهر إلا ووجدته يتحدث معي بكلمات فرنسية كثيرة وأصابتني دهشة حقيقية لمعرفتي بأنه لا يعرفها في الأصل، فعرفت أن الواقعة التي حدثت بيني وبين صديقتي قد استفزته كثيراً فسارع إلى الالتحاق بدورة مكثفة لتعليم الفرنسية، وعندما سألته وأنا أكثر اندهاشاً عن كيفية توفيره لوقت إضافي لتلك الدراسة بين جدول أنشطته الثقافية والترفيهية المنتظمة المزدحمة، فوجئت بأن كان يحفظ ما يأخذه عن طريق الهيدفون في أثناء رحلات الذهاب والإياب من كل مكان إلى آخر .. وقتها عرفت أن المشكلة ليست في ضيق الوقت .. لكن المشكلة تكمن أصلاً في كيفية تنظيمه!

وبعد عودتي إلى وطني الحبيب، قُمتُ بتأليف كتابٍ عن اقتصاديات الوقت ووجدت فيما تعلمته من خلاله خير نموذج للتنظيم الرشيد لوقت الإنسان بين مصالحه الدنيوية وتكليفاته التعبدية، ووقت نومه ووقت راحته أيضاً، وكان من أجمل معايير التصنيف للوقت اليومي المعيشي للإنسان المسلم هو ربطه بالفروض الخمس، فمنذ الفجر حتى وقت آذان الظهر يمارس الإنسان أشد أنواع الأعمال والأنشطة مشقة لأنه يكون في أفضل حالات اليقظة، أما بعد العشاء، فلا سلام ولا كلام، ويجب على الناس أن يكونون نيام، نيام، نيام !!! [1].

(1) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى زينب الأشوح، 1425هـ / 2004م.

وبوجه عام، فمن بين القواعد الواجب مراعاتها في عملية تنظيم الوقت المتاح وحسن استغلاله:

- ضرورة الربط بين الأهداف المتباينة وبين الفترات الزمنية الملائمة لتحقيق كل منها وإعداد جدول زمني بذلك مع عمل هامش جانبي تكتب فيه ملاحظات حول التطبيق الفعلي له (تم تطبيقه كله، تم تطبيق بعض منه، لم يطبق أبداً) وفى ظل إجمالي الملاحظات يمكن إجراء التعديلات المناسبة للتوصل إلى أفضل النتائج المناسبة للتطبيق العلمي، مع أخذ أوقات الطوارئ في الاعتبار التخطيطي.
- عدم الإطالة المبالغ فيها في عمل واحد (مثلما يحدث في رسائل الماجستير والدكتوراه) لأن الحياة ممتلئة بمنافع أخرى قد تكون أكثر أهمية في ذات المجال المعرفي أو في مجالات هامة أخرى.
- على غرار «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»، يجب تخصيص وقت دوري لتدوين كشف حساب ذاتي للنفس ولأعمالها وتوقيع الجزاءات الذاتية العادلة، أو تقرير المكافآت المناسبة (مثل التهام قطعة تورتة دسمة ولذيذة) !

(6) كيف تتم زيادة سرعة القراءة والإدراك والاستيعاب؟

تتم القراءة على ثلاث مراحل متتابعة: أولها تكون قراءة مستمرة شاملة مع تجاوز أية عبارات أو معلومات اعتراضية أو صعبة الفهم، وثانيها تكون بالقراءة الجزئية لكل جزء على حدة مع استخدام القلم (أو أقلام ألوان) لتحديد الكلمات وعبارات المفاتيح وتلك المطلوب حفظها كما هي، وثالثها لا تقرأ إلا بعد أن يتصور المرء أنه أستاذ المادة ويبدأ في شرح ما استوعبه من القراءتين الأوليين لنفسه (أمام مرآة مثلاً) أو لشقيق مسكين يجد نفسه في طريقه مثلاً. وفى تلك المرحلة سيتمكن المرء من التعرف على مواطن القصور الاستيعابية فيذهب إلى مواضعها بالتحديد ليزيد من تركيزه عليها حتى يستوعبها.

إن تلك الطريقة برغم تعدد مراحلها تفيد جداً في التمرين على تقوية الذاكرة وزيادة معدلات التركيز التي تساعد بدورها على تنشيط عمليات القراءة والاستقراء والاستيعاب فيما بعد.

وهناك طريقة أخرى ملائمة للبعض تتمثل في البدء باستقراء ما يكتب في كل مقدمة وخاتمة واستعراض المحتويات والعناوين الرئيسية والفرعية ثم الانتقال إلى العبارات المكتوبة بشكل مختلف مما يدل على أهميتها النسبية المرتفعة، ثم يتم الانتقال إلى العبارات الأكثر توضيحاً وتحديداً لما تم تحصيله وهكذا ...

والواقع أن الاستفاضة في ذلك الموضوع يطول، لكن بالى أصبح مشغولاً بموضوع أخر لا يقل أهمية، وهو .. كيف يمكن التعامل بنجاح مع حالات اهتزاز الثقة بالنفس نتيجة لتكرار حالات الإحباط أو الفشل أو كليهما معاً ؟

ذلك ما نبغي الانتقال إليه في الجزء الأخير من الكتاب، فهيا لنرى ما بشأنه تم عرضه وقوله !

2-4 كيف تتعامل مع أي حالة إحباط أو اهتزاز للثقة بالنفس؟

قد يعتقد القارئ العزيز أن الأمر في تلك الحالة لا يختلف كثيراً عما سبق وتمت مناقشته وعرض في الصفحات السابقة، ونحن لا ننكر أن هناك تداخلاً في كثير من مواضع المناقشات وعناصر المعالجات، بل وقد يحدث تكراراً وإعادة لبعض المتضمنات، إلا أن ما يحدث يكون لتحقيق أهداف أخرى تختلف عن مجرد عرض قطعة لفظية مجمعة منفصلة تماماً عن غيرها ومن تلك الأهداف إبراز بعض المواضيع ذات الأهمية الخاصة بتخصيص فقرات مستقلة تخصها وحدها .. فحتى إن وجدت بعد التكرارات لبعض المناظير والمعالجات إنما يكون ذلك منسوباً على وجه التخصيص إلى الموضوع الجاري مناقشته في ذات اللحظة.

وبناء عليه، فإن كنا قد تحدثنا سابقاً عن الإحباط بوجه عام، لكن أزمة الثقة بالنفس كنتيجة قد تصبح مزمنة التأثير تستدعى منا تنويه خاصة لما يجب فعله آنئذ .. وذلك بطبيعة الحال مع الاستعانة بما تقدم ذكره من توجيهات عامة وإرشادات.

1- النظر إلى ذلك الشعور بأنه مرض نفسي يصيب المشاعر ومواطن القدرة والإمكانيات والانجازات في مقتل، إن لم تتم معالجته بشكل رشيد وفوري وتدريجي:
   - أولاً وأخيراً: بواسطة الشخص المصاب نفسه.
   - ثانياً: باستخدام عوامل مساعدة من بشر ذوى مواصفات خاصة.
   - وغيرهما مما سنوضحه في حينه.

2- تلك المشاعر السلبية نجمت من مصادر سلبية أو بواسطة عناصر معادية. إنها تشبه تماماً الميكروبات والكائنات الضارة بالجسم والتي تخترق أعضاءه بعضها أو كلها فتتسبب في إحداث خلل توازني مؤقت أو مزمن أو مهلك.

3- وأول مظاهر الإصابة بتلك المشاعر هي الألم الكامن والظاهر في النفس وبقية الأعضاء «إذا اشتكى عضو من جسم الإنسان، تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

∴ تكون أول خطوة هى: الابتعاد الفورى عن المصادر والعناصر المرتبطة بإحداث تلك الإصابات السلبية والتجنب الفورى لأية وسائل اتصال أو تواصل يمكن أن تحدث بينهم.

والخطوة التالية: بل والمتزامنة معها ما أمكن، هى الحصول على مسكن قوى وفاعل يتمكن من إيقاف تيار نزيف وسيل الاعتداءات السلبية من قبل الأطراف غير المرغوب فيها (فلا يفل الحديد إلا الحديد).

ويكون ذلك باقتصار المعاملات على القادرين على دعمك الفاعل في تلك

الأزمة نفسياً أو فعلياً فإن كان الإحباط في مجال علمي، تتم الاستعانة بجادين في البحث العلمي ومؤمنين بقدراتك حيث تتم عمليات تبادل الشحنات المحفزة التي تصبح ليس مسكناً فقط، ولكن ممحاة (استيكة) أو (كوريكتور) قادرة على تتبع كل مواضع الألم النفسي الناجم عن الأفعال السلبية للآخرين ومحوها وذلك لابد أن يصاحبه حوار مفتوح ودي وصادق بين المصاب وأولئك الآخرين الداعمين.

∴ فلابد أن تؤكد الفئات الداعمة حبها لك وفعاليتها في عمليات المشاركة الداعمة التي تشهد بها تواريخ المعاملات السابقة معها، وإلا انتفت صفة الدعم الفاعل لديها.

ختاما...

كل شيء إلى زوال every thing goes، ماعدا العلم والأعمال الصالحات، فإنها تبقى لتشهد لصاحبها بحسن الصنيع وبانتشار منافعها لتعم الجميع، ثم تصبح رفيقاً يؤنس صاحبها ويزيل عنه وحشة القبر وظلمته .. هذا كله إن حازت القبول عند العليم الكريم وتشفع للكاتب قراء ومستفيدين وجوا فيما قرأ و أو تعلموا إضافة ونفعاً .. اللهم تقبل منى هذا العمل الذي أقدمه مخلصة لوجهك الكريم، وساعية إلى تقديم كبسولة معرفية تدريبية مرشدة لكل طامح إلى تحسين قدراته وملكاته في مجال الفكر والتحليل والتدبر والتعلم والارتقاء السريع على درجات العلم المعرفي السامي.

فقط، أود أن أذكر قرائي الأعزاء بأن ذلك الكتاب يمكن أن يعتبر أحد الإسهامات المتواضعة الجادة على طريق تنمية القدرات البشرية بالتوجيه الموضوعي إلى كيفية خلق عقلية رشيدة تعرف كيف تفكر، وكيف تحلل، وكيف تهتم بدقائق الأمور وتنسج منها عظائم النتائج والثمار ... وكيف تستخدم المؤشرات والمعايير والدلالات

كأدوات جوهرية أو كلبنات لا غنى عنها في وضع أسس فكرية ومعرفية ثابتة يمكن أن تبنى عليها بعد ذلك الكثير والكثير من المعارف المختلفة والمتشعبة ... وكيف يمكن الاستعانة الرشيدة الصحيحة بالنصوص الدينية الثابتة كتوجيهات نموذجية ترشدنا إلى (سكة السلامة) وتجنبنا التوهان في (سكة الندامة) أو المهلكة في غياهب النسيان المنتشرة في (سكة اللي يروح ما يرجعشى).

وبعد أن انتهى الكتاب بعرض مجرد نماذج وأمثلة بسيطة لمؤشرات ومعايير ودلالات، كثيراً منها تم استنباطه واستقراءه من النصوص القرآنية والنبوية الشريفة، فها نحن نقف على مشارف عتبة معرفية أخرى نحاول من خلالها تأليف كتاب آخر جديد أكثر عمقاً وشمولية وتفصيلاً حول ذلك المجال ..

فإلى الملتقى .. إن أذن الله وشاء.

المؤلفـة

المراجـــع

القرآن الكريم.

ابن كثير (مولود 701هـ/ 1302م، توفى 774هـ/ 1372م)، (1417هـ/ 1996م)، **تفسير القرآن العظيم**، الطبعة الأولى، مكتبة الإيمان، المنصورة.

احمد عبدالوهاب، 1995، **التربية البيئية**، دائرة المعارف البيئية، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.

الحافظ بن كثير، 1999، **قصص الأنبياء**، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الفجر للتراث، القاهرة.

آدم كوبر، مارس 2008، «الثقافة – التفسير الأنثروبولوجي»، **عالم المعرفة**، ترجمة تراجى فتحي، مراجعة ليلى الموسرى، ع 349، الكويت.

تودج بوشهولز، 1996، **أفكار جديدة من اقتصاديين راحلين – مقدمة للفكر الاقتصادي الحديث**، ترجمة نزيره الأفندي وعزه الحسيني، مراجعة حازم الببلاوى، مكتبة الأكاديمية، القاهرة.

جلال الدين عبدالرحمن السيوطى وجلال الدين محمد المجلى، (1425هـ/ 2004م)، **تفسير الجلالين**، مكتبة الصفا ومكتبة السلام، القاهرة، الدار البيضاء (بالمغرب).

جلال أمين، 2008، **فلسفة علم الاقتصاد، بحث في تحيزات الاقتصاديين وفى الأسس غير العلمية لعلم الاقتصاد**، دار الشروق، القاهرة.

روبرت كارسون، 1994، **ماذا يعرف الاقتصاديون عن التسعينات وما بعدها**، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر، كندا.

زينب صالح الأشوح، 1425هـ/ 2004م، **اقتصاديات الوقت – دراسة مقارنة بين الفكر الوضعى والفكر الإسلامي**، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، جامعة الأزهر، القاهرة.

زينب صالح الأشوح، 2003، **الإطراد والبيئة ومداواة البطالة**، دار غريب، القاهرة.

زينب صالح الأشوح، 2004، **الاقتصاد الإسلامي بين البحث والنظرية والتطبيق**، دار غريب، القاهرة.

زينب صالح الأشوح، 2010، **ما الذي يجب عليك أن تعرفه عن الاقتصاد الإسلامي «What Should You Have to Know About Islamic Economics»**، القاهرة.

صبري صالح الأشوح، 1417هـ/ 1997م، **التفكير عند أئمة الفكر الإسلامي**، مكتبة وهبة، القاهرة.

صبرى صالح الأشوح، 1420هـ/ 2000م، **المعلوم من الدين بالضرورة من عقيدة الإسلام وشريعته وقيمه**، دار الاعتصام، القاهرة.

صبري صالح الأشوح، 1426هـ/ 2005م، **مذهب جمهور الفقهاء**، لا اسم لناشر، القاهرة.

طه على محمد سيف، 2000، **تبارك الرحمن في خلق الإنسان**، الأنوار المحمدية للطباعة، طنطا.

عبدالرحمن يسرى، 1987، **تطور الفكر الاقتصادي**، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.

لبيب شقير، بدون تاريخ، **تاريخ الفكر الاقتصادي**، دار النهضة مصر، القاهرة.

محمد شفيق، 2005، **البحث العلمي مع تطبيقات في مجال الدراسات الاجتماعية**، القاهرة.

محمد فؤاد عبدالباقى، (بدون تاريخ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار المعرفة، بيروت.

محمد ناصر الدين الألباني، (1408هـ/ 1988م)، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، الطبعة المجددة والمزيدة والمنقحة، المكتب الإسلامي، القاهرة.

هندريك فان لون، 1958، **قصة الجنس البشرى**، ترجمة إبراهيم خورشيد وأحمد الشنتناوى، كتاب الشعب، الطبعة الثانية، ع3، ع4، رقمي 852، 853.

وول ديورانت، 2002، **قصة الحضارة - نشأة الحضارة - الشرق الأدنى**، ترجمة نجيب محمود، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

هذه الصفحة توضع على الغلاف الخلفي للكتاب

هذا الكتاب ليس موجها فقط إلى طبقة المتخصصين أو العلميين لكن تم إعداده ليعم بالنفع المعرفي والإرشادي جميع الطبقات وكل الأعمار، فهو يتناول مواضيع مختلفة حول التنمية البشرية بالتركيز على تنمية القدرات العقلية والذهنية والمعرفية.

ونحن ندعو القارئ العزيز للتمعن في محتويات ذلك الكتاب ولتناوله كوجبة خفيفة ومغذية ومفيدة من المعلومات والإرشادات العامة حول أنماط الفكر البشرى وتطبيقاتها على أئمة قدامى الفقهاء؛ والتعرف على كيفية تحسين القدرات البحثية والمعرفية؛ وفن استخدام المفاتيح والمعايير للمضي قدما على المنهج الفكري الصحيح.

وذلك بالإضافة إلى مجموعة من الإرشادات حول كيفية الارتقاء بالشخصية المعرفية واكتساب صفات مثالية متميزة، وكيفية معالجة حالات الإحباط واهتزاز الثقة بالنفس التي تواكب تحديات العصر القاسية.

أدعوا الله أن يكون كتابنا هذا نافعا لكل من يقرأه وأن يكون له شمعة تضئ له بعض ما يواجهه من ظلمات ومبهمات.

المؤلفة